17
سورة الإسراء

1- مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية . " سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً " سبحان الله : تنزيه الله تعالى من كل سوء ، ووصفه بالبراءة من كل نقص على طريق المبالغة ، ويكون " سبحان " بمعنى التعجب ، "أسرى بعبده " أي : سيره ، وكذلك سرى به ، والعبد هو : محمد صلى الله عليه وسلم . " من المسجد الحرام " ، قيل : كان الإسراء من مسجد مكة ، روى قتادة عن أنس عن مالك ابن صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق " ، فذكر حديث المعراج . وقال قوم : عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب ، ومعنى قوله : " من المسجد الحرام" أي : من الحرم . قال مقاتل : كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة . ويقال : كان في رجب . وقيل : كان في شهر رمضان. " إلى المسجد الأقصى " ، يعني : بيت المقدس ، وسمي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار . وقيل : لبعده من المسجد الحرام . " الذي باركنا حوله " ، بالأنهار والأشجار والثمار . وقال مجاهد : سماه مباركاً لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي ، ومنه يحشر الناس يوم القيامة . " لنريه من آياتنا " ، من عجائب قدرتنا، وقد رأى هناك الأنبياء والآيات الكبرى . " إنه هو السميع البصير " ، ذكر (السميع) لينبه على أنه المجيب لدعائه ، وذكر (البصير) لينبه على أنه الحافظ له في ظلمة الليل . وروى عن عائشة رضي الله عنه أنها كانت تقول : ما فقد جسد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أسرى بروحه . والأكثرون على أنه بجسده في اليقظة ، وتواترت الأخبار الصحيحة على ذلك . أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، حدثنا هدبة بن خالد ، حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة (ح) قال البخاري : وقال لي خليفة العصفري : حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد و هشام . قال : حدثنا قتادة (ح) عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، حدثهم عن ليلة أسرى به ، (ح) قال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن يونس عن ابن شهاب عن أنس قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ح) ، وأخبرنا أبو سعيد إسماعيل بن عبد القاهر ، أخبرنا أبو الحسن عبد الغفار بن محمد [الفارسي أنبأنا أبو الحسين محمد بن عيسى الجلودي ، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد] بن سفيان ، حدثنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - [دخل حديث بعضهم في بعض - قال أبو ذر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :] " فرج عني سقف بيتي ، وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج صدري ، ثم غسله

بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمةً وإيماناً ، فأفرغه في صدري ، ثم أطبقه " . وقال مالك بن صعصعة : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال : " بينما أنا في الحطيم ، وربما قال في الحجر ، بين النائم واليقظان ، وذكر بين رجلين ، فأتيت بطست من ذهب مملوء حكمة وإيماناً فشق من النحر إلى مراق البطن ، واستخرج قلبي فغسل ثم حشي ، ثم أعيد " . وقال سعيد و هشام : ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ إيماناً وحكمةً ، ثم أوتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض طويل ، فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته فانطلقت مع جبريل حتى أتيت بيت المقدس ، قال : فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء ،قال : ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت ،فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل : اخترت الفطرة ، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ،قيل من هذا ؟ قال : جبريل : قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت ، فإذا فيها آدم ، فقال لي : هذا أبوك آدم ، فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح . وفي حديث أبي ذر : علونا السماء الدنيا ، فإذا رجل قاعد عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة ، إذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح ، والابن الصالح . قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم وهذه الأسودة التي عن يمينه وشماله نسم بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى . ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ،قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت ، إذا بيحيى وعيسى ، عليهما السلام ، وهما ابنا خالة ،قال : هذا يحيى وعيسى ، فسلم عليهما، فسلمت فردا ، ثم قالا : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قال : ومن معك ؟ قال محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت ، فإذا يوسف ، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن ، قال : هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد علي ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ،والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فإذا إدريس ، قال هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه ،فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح

والنبي والصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ،والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل: مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا موسى ، قال : هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح ، فلما جاوزت بكى قيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي . ثم صعد بي إلى السماء السابعة ،فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك إبراهيم ، فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالنبي الصالح ، والابن الصالح ، فرفع لي البيت المعمور ، فسألت جبريل ؟ فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك ،إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم . وقال ثابت عن أنس : فإذا أنا بإبراهيم مسند ظهره إلى البيت المعمور ، إذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ،ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ، في أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذان يا جبريل ؟ فقال : أما الباطنان ، فنهران في الجنة ، وأما الظاهرات فالنيل والفرات . وأوحى إلي ما أوحى ، ففرض علي خمسين صلاةً في كل يوم وليلة ، فنزلت إلى موسى ،فقال: ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت إلى ربي فقلت : يا رب خفف على أمتي ، فحط عني خمساً ، فرجعت إلى موسى فقلت : حط عني خمسة ، قال : إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . قال : فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى حتى قال : يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة ،لكل صلاة عشر ، هي خمس وهي خمسون ، لا يبدل القول لدي ،ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن علمها كتبت له عشراً ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة . قال : فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته ، فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . فقلت : سألت ربي حتى استحييت

ولكني أرضى وأسلم ،قال : فلما جاوزت نادى مناد : أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك . قال ابن شهاب : فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري ، كانا يقولان : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوىً فيه صريف الأقلام " . قال ابن حزم و أنس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ففرض الله على أمتي خمسين صلاة " . وروى معمر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم :" أتي بالبراق ليلة أسرى به ملجماً مسرجاً ، فاستصعب عليه ، فقال جبريل : أبمحمد تفعل هذا ؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه ، فارفض عرقاً ". وقال ابن بريده عن أبيه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل بأصبعه ، فخرق بها الحجر وشد بها البراق ". أنبأنا عبد الواحد المليحي ، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثني محمود ، أنبأنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر عن الزهري ، أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليلة أسرى بي لقيت موسى، قال : فنعته ، فإذا هو رجل- حسبته قال : مضطرب - رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة . قال : ولقيت عيسى ،فنعته النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ربعة ، أحمر ، كأنما خرج من ديماس ، يعني : الحمام ، ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به ،قال : وأتيت بإناءين : أحدهما لبن ، والآخر فيه خمر ، فقيل له : خذ أيهما شئت ،فأخذت اللبن فشربته ،فقيل لي : هديت الفطرة [أو أصبت الفطرة] ، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك " . أنبأنا عبد الواحد المليحي ، حدثنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : " " وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس "، قال : هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس . قال : والشجرة الملعونة في القرآن قال : هي شجرة الزقوم ". أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثني سليمان ، عن شريك بن عبد الله قال : سمعت أنس بن مالك يقول : ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر ، قبل أن يوحى إليه ، وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال : أوسطهم هو خيرهم ، فقال آخرهم : خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه ، وتنام عينه ، ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ، ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه حتى احتملوه ووضعوه عند بئر زمزم ، فشق جبريل ما بين نحره

إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزم بيده . وساق حديث المعراج بقصته . فقال : فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان ، قال : هذا النيل والفرات ، عنصرهما واحد ، ثم مضى به في السماء الثانية ، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فضرب يده فإذا هو مسك أذفر ، قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك . وساق الحديث ، وقال : ثم عرج بي إلى السماء السابعة ، وقال : قال موسى : رب لم أظن أن ترفع علي أحداً ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعمله إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إليه فيما يوحى إليه الله خمسين صلاة كل يوم وليلة ، وقال : فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ، ثم احتبسه موسى عند الخمس ، فقال : يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا عنه وتركوه ، فأمتك أضعف قلوباً وأجساداً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً ، فارجع فليخفف عنك ربك ، كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ليشير عليه ، ولا يكره ذلك جبريل ، فرفعه عند الخامسة ، فقال : يا رب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا ، فقال الجبار : يا محمد ، قال : لبيك وسعديك ،قال : إنه لا يبدل القول لدي ، كما فرضت عليك في أم الكتاب ، فكل حسنة بعشر أمثالها ، فهي خمسون في أم الكتاب ، وهي خمس عليك ، فقال موسى : ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه ، قال : فاهبط بسم الله. فاستيقظ وهو في المسجد الحرام . وروى مسلم هذا الحديث مختصراً عن هارون بن سعيد الإيلي ، عن ابن وهب ، عن سليمان ابن بلال . قال شيخنا الإمام رضي الله عنه : قد قال بعض أهل الحديث ما وجدنا ل محمد بن إسماعيل و ل مسلم في كتابيهما شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلا هذا ،وأحال الأمر فيه إلى شريك بن عبد الله ، وذلك أنه ذكر فيه أن ذلك قبل أن يوحى إليه ، واتفق أهل العلم على أن المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنتي عشرة سنة قبل الهجرة بسنة . وفيه أيضاً : (أن الجبار دنا فتدلى) . وذكرت عائشة أن الذي دنا فتدلى جبريل عليه السلام . قال شيخنا الإمام رضي الله عنه : وهذا الاعتراض عندي لا يصح ، لأن هذا كان رؤيا في النوم ، أراه الله عز وجل قبل الوحي ، بدليل آخر الحديث : قال فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ، ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقاً لرؤياه من قبل،كما أنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ، ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله عز وجل :" لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق " (الفتح - 27) وروي أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به وكان بذي طوى

قال : يا جبريل إن قومي لا يصدقوني ، قال : يصدقك أبو بكر وهو الصديق . قال ابن عباس ، وعائشة ، رضي الله عنهم ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما كانت ليلة أسري بي فأصبحت بمكة فضقت بأمري وعرفت أن الناس مكذبي ، فروي أنه عليه الصلاة و السلام قعد معتزلاً حزيناً ، فمر به أبو جهل فجلس إليه فقال له كالمستهزئ : هل استفدت من شيء ؟ قال : نعم إني أسري بي الليلة قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس ، قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ، قال : نعم ، فلم ير أبو جهل أنه ينكر ، مخافة أن يجحده الحديث ، قال : أتحدث قومك ما حدثتني ؟ قال : نعم ، قال أبو جهل : يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا ، قال : فانفضت إليه المجالس فجاؤوا حتى جلسوا إليهما ، قال : فحدث قومك ما حدثتني قال : نعم إني أسري بي الليلة ، قالوا إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس ، قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم ،قال: فمن بين مصفق ، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً ، وارتد ناس ممن كان آمن به وصدقه ، وسعى رجل من المشركين إلى أبي بكر فقال : هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس ، قال : أوقد قال ذلك ؟ قال : نعم ، قال : لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : وتصدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس في ليلة وجاء قبل أن يصبح ؟ قال : نعم ، إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة ، فلذلك سمي أبو بكر الصديق . قال : وفي القوم من قد أتى المسجد الأقصى ،فقالوا : هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟ قال : نعم ، قال : ذهبت أنعت وأنعت ،فمازلت أنعت حتى التبس علي [بعض النعت] ، قال : فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد ، وأنا أنظر إليه ، فقال القوم : أما النعت فوالله لقد أصاب ، ثم قالوا : يا محمد أخبرنا عن عيرنا هي أهم إلينا، فهل لقيت منها شيئاً ؟ قال : نعم مررت على عير بني فلان ،وهي بالروحاء ، وقد أضلوا بعيرا لهم ،وهم في طلبه، وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فأخذته فشربته ، ثم وضعته كما كان فسلوهم هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا إليه ؟ قالوا : هذه آية ، قال : ومررت بعير بني فلان ، وفلان وفلان راكبان قعوداً لهما بذي طوى ، فنفر بعيرهما مني فرمى بفلان ، فانكسرت يده ،فسلوهما عن ذلك ، قالوا : وهذه آية . قالوا : فأخبرنا عن عيرنا نحن ؟ قال : مررت بها بالتنعيم ، قالوا : فما عدتها وأحمالها وهيئتها ومن فيها ؟ فقال : نعم ، هيئتها كذا وكذا ، وفيها فلان وفلان ، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان ، تطلع عليكم عند طلوع الشمس ، قالوا وهذه آية . ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون : والله لقد قص محمد شيئا وبينه حتى أتوا كدىً ، فجلسوا عليه فجعلوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه ، إذ قال قائل منهم : والله هذه الشمس قد

طلعت ، وقال آخر : وهذه والله الإبل قد طلعت ، يقدمها بعير أورق ، فيها فلان وفلان ، كما قال لهم ، فلم يؤمنوا ، " وقالوا : إن هذا إلا سحر مبين " . أنبأنا إسماعيل بن عبد القاهر ، أنبأنا عبد الغافر بن محمد ، أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي ، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجاج ،حدثني زهير بن حرب ، حدثنا حجر بن المثنى ، أنبأنا عبد العزيز وهو ابن أبي سلمة - عن عبد الله بن الفضل ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد رأيتني في الحجر ، وقريش تسألني عن مسراي ،فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كرباً ما كربت مثله قط ، قال : فرفعه الله لي أنظر إليه ، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به ،ولقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، فإذا موسى قائم يصلي ،فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى قائم يصلي ، أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم قائم يصلي ، أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فجاءت الصلاة فأممتهم ، فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل : يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه . فالتفت إليه فبدأني بالسلام ".

2 - قوله عز وجل : " وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل أن لا " ، بأن لا ، " تتخذوا من دوني وكيلاً " ، رباً وكفيلاً . قال أبو عمرو (لا تتخذوا) بالياء ، لأنه خبر عنهم ، والآخرون : بالتاء ، يعني : قلنا لهم لا تتخذوا .

3 - " ذرية من حملنا " ، قال مجاهد : هذا نداء ، يعني : يا ذرية من حملنا ، " مع نوح " ، في السفينة فأنجيناهم من الطوفان ، " إنه كان عبداً شكوراً " ، كان نوح عليه السلام إذا أكل طعاماً أو شرب شراباً أو لبس ثوباً قال : الحمد لله فسمي عبداً شكوراً ، أي : كثير الشكر .

4 - قوله عز وجل : " وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب " الآيات . روى سفيان بن سعيد الثوري عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن بني إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملك فارس (بختنصر) ، وكان الله ملكه سبعمائة سنة ، فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس ، فحاصرها وفتحها ، وقتل على دم يحيى بن زكريا عليه السلام سبعين ألفاً ، ثم سبى أهلها [والأبناء] ، وسلب حلي بيت المقدس ، واستخرج منها سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة من حلي ،قلت : يا رسول الله كان بيت المقدس عظيماً؟ قال : أجل بناه سليمان بن داود من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ، وكان عمده ذهباً ، أعطاه الله ذلك ، وسخر له الشياطين ، يأتونه بهذه الأشياء في طرفة عين ، فسار بها بختنصر حتى نزل

بابل فأقام بنو إسرائيل في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس وأبناء المجوس ، فيهم الأنبياء ، ثم إن الله رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس يقال له (كورش) ، وكان مؤمناً ، أن يسير إليهم ليستنقذ بقايا بني إسرائيل ، فسار كورش لبني إسرائيل وأخذ حلي بيت المقدس حتى ردها إليه ، فأقام بنو إسرائيل بها مطيعين لله تعالى مائة سنة ، ثم إنهم عادوا في المعاصي فسلط الله عليهم ملكاً يقال له (أنطيانوس) فغزا بني إسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس ، فسبى أهلها وأحرق بيت المقدس ، وقال لهم : يا بني إسرائيل إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم ثانياً [بالسبي] ، فعادوا ، فسلط الله عليهم ملك رومية يقال له (فاقس بن أستيانوس) ، فغزاهم في البر والبحر فسباهم وسبى حلي بيت المقدس وأحرق بيت المقدس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا من صفة حلي بيت المقدس ، ويرده المهدي إلى بيت المقدس ، وهو ألف وسبعمائة سفينة يرمي بها على يافا حتى تنقل إلى بيت المقدس ،وبها يجمع الله الأولين والآخرين " . قال محمد بن إسحاق : كانت بنو إسرائيل فيهم الأحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزاً عنهم محسناً إليهم ، وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم كما أخبر على لسان موسى عليه السلام ، أن ملكاً منهم كان يدعى (صديقة) وكان الله تعالى إذا ملك الملك عليهم بعث معه نبياً يسدده ويرشده ، لا ينزل عليهم الكتب ، إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التي فيها . فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه (شعياء بن أصفيا) . وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ، و(شعياء) هو الذي بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام ، فقال : أبشري أورشليم ، الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير ، فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الأحداث وشعياء معه ، بعث الله عليهم (سنجاريب) ملك بابل ، معه ستمائة ألف راية ، فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس ، والملك مريض ، في ساقه قرحة ، فجاء النبي شعياء وقال له : يا ملك بني إسرائيل إن سنجاريب ملك بابل قد نزل بك ، هو وجنوده بستمائة ألف راية ، وقد هابهم الناس وفرقوا، فكبر ذلك على الملك ، فقال: يا نبي الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده ؟ فقال : لم يأتني وحي، فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعياء النبي أن ائت ملك بني إسرائيل فمره أن يوصي وصيته ويستخلف - على ملكه من يشاء من أهل بيته - فأتى شعياء ملك بني إسرائيل (صديقة) فقال له : إن ربك قد أوحى إلي أن آمرك أن توصي وصيتك ، وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك ، فإنك ميت ، فلما قال ذلك شعياء لصديقة أقبل على القبلة فصلى ودعا وبكى ، فقال وهو يبكي وتضرع إلى الله بقلب مخلص :

اللهم رب الأرباب ، وإله الآلهة ، يا قدوس المتقدس يا رحمن ، يا رحيم ، يا رؤوف ، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل ، وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني ، سري وعلانيتي لك وأنت الرحمن . فاستجاب له وكان عبداً صالحاً ، فأوحى الله تعالى إلى شعياء أن يخبر صديقه أن ربه قد استجاب له ورحمه ، وأخر له أجله خمس عشرة سنة ، وأنجاه من عدوه سنجاريب ، فأتاه شعياء فأخبره بذلك ، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن ، وخر ساجداً ، وقال : يا إلهي وإله آبائي ، لك سجدت وسبحت ، وكبرت ، وعظمت ، أنت الذي تعطي الملك لمن شاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، عالم الغيب والشهادة ،أنت الأول والآخر ،والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين ، وأنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي . فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعياء أن قل للملك صديقه فيأمر عبداً من عبيده فيأتيه بماء التنين فيجعله على قرحته فيشفى ، يصبح وقد برأ ، ففعل وشفي. وقال الملك لشعياء : سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا . قال الله لشعياء : قل له : إني قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم ، وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه . فلما أصبحوا جاء صارخ فصرخ على باب المدينة ، يا ملك بني إسرائيل إن الله قد كفاك عدوك ، فاخرج فإن سنجاريب ومن معه قد هلكوا ، فلما خرج الملك التمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى ، فبعث الملك في طلبه فأدركه الطلب في مغارة وخمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم إلى ملك بني إسرائيل ، فلما رآهم خر ساجداً من حين طلعت الشمس إلى العصر ، ثم قال لسنجاريب : كيف ترى فعل ربنا بكم ؟ ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون ؟ . فقال سنجاريب له : قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم ورحمته التي يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشداً ، ولم يلقني في الشقوة إلا [ذلة في الدنيا وعذاب في الآخرة] ، فلو سمعت أو عقلت ما غزوتكم . فقال صديقه : الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم بما شاء ، وإن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك على ربك ،ولكنه إنما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذاباً في الآخرة ، ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ، ولولا ذلك لقتلكم ولدمك ولدم من معك أهون على الله من دم قراد ،لو قتلت . ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه فقذف في رقابهم الجوامع فطاف بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس وإيليا ، وكان يرزقهم كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم ، فقال سنجاريب لملك بني إسرائيل : القتل خير مما تفعل بنا. فأمر بهم الملك إلى سجن القتل ، فأوحى الله إلى شعياء عليه السلام : أن

قل لملك بني إسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ، وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم ، فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل [الملك صديقه] ما أمر به . فخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده ، فقال له كهانه وسحرته : يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحي الله إلى نبيهم فلم تطعنا ،وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم ، وكان أمر سنجاريب تخويفاً لهم ثم كفاهم الله ، تذكرة وعبرة . ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ، ثم مات واستخلف بختنصر ، ابن ابنه ، على ما كان عليه جده يعمل عمله ، فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني إسرائيل صديقه ، فمرج أمر بني إسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضاً ،ونبيهم شعياء معهم ولا يقبلون منه ،فلما فعلوا ذلك قال الله لشعياء قم في قومك أوحي على لسانك ، فلما قام النبي شعياء أنطق الله لسانه بالوحي ، فقال : يا سماء اسمعي ويا أرض أنصتي فإن الله يريد أن يقص شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته ،واصطنعهم لنفسه ، وخصهم بكرامته ، وفضلهم على عباده ، وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها،فآوى شاردتها ، وجمع ضالتها ، وجبر كسرها ، وداوى مريضها ، وأسمن مهزولها ، وحفظ سمينها ، فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها ، فقتل بعضها بعضاً ، حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر إليه آخر كسير ، فويل لهذه الآمة الخاطئة الذين لا يدرون أنى جاءهم الخير أن البعير مما يذكر وطنه فينتابه وأن الحمار مما يذكر الأري الذي شبع عليه فيراجعه ، وأن الثور مما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه ، وأن هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم أولوا الألباب والعقول ، ليسوا ببقر ولا حمير وأني ضارب لهم مثلاً فليسمعوه ، قل لهم : كيف ترون في أرض كانت خواءً زماناً ، خراباً ، مواتاً ، لا عمران فيها ، وكان لها رب حكيم ، فأحاط عليها جداراً ، وشيد فيها قصوراً ، وأنبط نهراً ، وصنف فيها غراساً من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب وألوان الثمار كلها ، وولى ذلك واستحفظه ذا رأي وهمة حفيظاً قوياً أميناً ، فلما أطلعت جاء طلعها خروباً ؟ قالوا بئست الأرض هذه فنرى أن يهدم جدارها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت أول مرة خراباً مواتاً لا عمران فيها ، قال الله : قال لهم : فإن الجدار ديني ،وإن القصر شريعتي ، وإن النهر كتابي ، وإن القيم نبيي ، وإن الغراس هم ، وإن الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيث ، وأني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم ، وإنه مثل ضربته لهم ، يتقربون إلي بذبح البقر والغنم ، وليس ينالني اللحم ولا آكله ، ويدعون أن يتقربوا إلي بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرمتها فأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملة بدمائها ، يشيدون لي

البيوت مساجد ، ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها ، ويزوقون إلي المساجد ، ويزينونها ، ويخربون عقولهم وأحلامهم ويفسدونها فأي حاجة لي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها ؟ وأي حاجة لي إلى تزويق المساجد ولست أدخلها ؟ إنما أمرت برفعها لأذكر وأسبح فيها. يقولون : صمنا فلم يرفع صيامنا [وصلينا فلم تنور صلاتنا] وتصدقنا فلم يزك صدقتنا ، ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا مثل عواء الذئاب في كل ذلك لا يستجاب لنا. قال الله : فاسألهم ما الذي يمنعني أن أستجب لهم ؟ ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين ؟ فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام ؟ أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحاربني ويحادني وينتهك محارمي ؟ أم كيف تزكى عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم ؟ إنماآجر عليها أهلها المغصوبين ؟ أم كيف أستجيب دعاءهم وإنما هو قول بألسنتهم ، والفعل من ذلك بعيد ، إنما أستجيب للداعي اللين ، وإنما أسمع قول المستعفف المسكين ، وإن من علامة رضاي رضا المساكين . يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي : إنها أقاويل منقولة ، وأحاديث متوارثة ،وتأليف مما يؤلف السحرة والكهنة ، وزعموا أنهم لو شاؤوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا ، ولو شاؤوا أن يطلعوا على علم الغيب بما يوحي إليهم الشياطين اطلعوا، وإني قد قضيت يوم خلقت السماء والأرض قضاءً أثبته وحتمته على نفسي ، وجعلت دونه أجلاً مؤجلاً لا بد أنه واقع ، فإن صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه ؟ أو في أي زمان يكون ؟ وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤون ، فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أمضيت فإني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وإن كانوا يقدرون على أن يقولوا ما يشاؤون فليقولوا مثل الحكمة التي بها أدبر أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين ، وإني قد قضيت يوم خلقت السماء والأرض أن أجعل النبوة في الأجراء ، وأن أجعل الملك في الرعاء ، والعز في الأذلاء والقوة في الضعفاء ، والغنى في الفقراء ، والعلم في الجهالة ، والحكمة في الأميين فسلهم متى هذا ومن القائم به ، ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون ، فإني باعث لذلك نبياً أمياً أميناً ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا متزين بالفحش ، ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، أجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، [والحق شريعته] والهدى [والقرآن] إمامه ،والإسلام ملته وأحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة ،وأشهر به بعد النكره وأكثر به بعد القلة ، و أغني به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به

بين قلوب مختلفة ، وأهواء متشتة وأمم متفرقة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، توحيداً لي وإيماناً وإخلاصاً لي يصلون قياماً وقعوداً وركعاً وسجوداً ، ويقاتلون في سبيلي صفوفاً وزحوفاً ، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضواني ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد و المدحة والتمجيد في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومناقبهم ومثواهم ، يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤوس الأشراف ويطهرون لي الوجوه والأطراف يعقدون لي الثياب على الأنصاف ، قربانهم دماؤهم ، وأناجيلهم في صدورهم ، رهبان بالليل ليوث بالنهار ، ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم . فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم ، فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها ، فأدركه الشيطان ، فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها ، فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها ، واستخلف الله على بني إسرائيل بعد ذلك رجلاً منهم يقال له ناشية بن أموص ، وبعث لهم أرمياء بن حلقيا نبياً ، وكان من سبط هارون بن عمران . وذكر ابن إسحاق أنه الخضر واسمه أرمياء ، سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتز خضراء . فبعث الله أرمياء إلى ذلك الملك ليسدده ويرشده ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم ، فأوحى الله إلى أرمياء أن ائت قومك من بني إسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمتي وعرفهم بأحداثهم ، فقال أرمياء : يا رب إني ضعيف إن لم تقوني ، عاجز إن لم تبلغني ، مخذول إن لم تنصرني ،قال الله تعالى : أو لم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي ، وأن القلوب والألسنة بيدي أقلبها كيف شئت ، إني معك ولن يصل إليك شيء معي ، فقام أرمياء فيهم ولم يدر ما يقول فألهمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة ،بين فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية ، وقال في آخرها عن الله تعالى : وإني حلفت بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولأسلطن عليهم جباراً قاسياً ألبسه الهيبة ، وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ، ثم أوحى الله إلى أرمياء : إني مهلك بني إسرائيل بيافث ، ويافث من أهل بابل - على ما ذكرنا في سورة البقرة - فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية ، ودخل بيت المقدس بجنوده ووطئ الشام ، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم ، وخرب بيت المقدس ، وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ثم يقذفه في بيت المقدس ، ففعلوا ذلك حتى ملؤوه ، ثم أمرهم أن يجمعوا من في بلدان بيت المقدس كلهم ، فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني إسرائيل ، فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده ، وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه : أيها

الملك لك غنائمنا كلها ، واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل ، فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل مهم أربعة غلمان ، وفرق من بقي من بني إسرائيل ثلاث فرق ، فثلثاً أقر بالشام ، وثلثاً سبي ، وثلثاً قتل ، وذهب بناشئة بيت المقدس وبالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الأولى التي أنزل الله ببني إسرائيل بظلمهم ، فذلك قوله تعالى : " فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد " يعني : بختنصر وأصحابه . ثم إن بختنصر أقام في سلطانه ما شاء الله ثم رأى رؤيا أعجبته ، إذ رأى شيئاً أصابه فأنساه الله الذي رأى ، فدعاه دانيال وحنانيا وعزازيا و ميشائيل ، وكانوا من ذراري الأنبياء وسألهم عنها قالوا أخبرنا بها نخبرك بتأويلها ، قال : ما أذكرها ولئن لم تخبروني بها وبتأويلها لأنزعن أكتافكم ، فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا إليه ، فأعلمهم بالذي سألهم عنه ، فجاؤوه وقالوا : رأيت تمثالاً قدماه وساقاه من فخار ، وركبتاه وفخذاه من نحاس ، وبطنه من فضة ، وصدره من ذهب ، ورأسه وعنقه من حديد ، قال : صدقتم ، قالوا : فبينما أنت تنظر إليه وقد أعجبك أرسل الله تعالى صخرة من السماء فدقته فهي التي أنستكها ، قال : صدقتم ، قال :فما تأويلها ؟ قالوا تأويلها أنك رأيت ملك الملوك، فبعضهم كان ألين ملكاً وبعضهم كان أحسن ملكاً وبعضهم كان أشد ملكاً ، الفخار أضعفه ، ثم فوقه النحاس أشد منه ، ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل ، والذهب أحسن من الفضة وأفضل ، ثم الحديد ملكك فهو أشد وأعز مما كان قبله ، والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء فدقته نبي يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الأمر إليه . ثم إن أهل بابل قالوا لبختنصر : أرأيت هؤلاء الغلمان من بني إسرائيل الذين كنا سألناك أن تعطيناهم ففعلت، فإنا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا ، لقد رأينا نساءنا انصرفت عنا وجوههن إليهم فأخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم ، قال شأنكم بهم ، فمن أحب منكم أن يقتل من كان في يده فليفعل . فلما قربوهم للقتل بكوا إلى الله تعالى وقالوا : يا رب أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعد الله أن يجيبهم ، فقتلوا إلا من استبقى بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل . ثم لما أراد الله هلاك بختنصر انبعث فقال لمن في يده من بني إسرائيل : أرأيتم هذا البيت الذي خربته والناس الذين قتلت منهم ؟ وما هذا البيت ؟ قالوا : هذا بيت الله ، وهؤلاء أهله ، كانوا من ذراري الأنبياء ، فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم ، وكان ربهم ، رب السموات والأرض ورب الخلق كلهم ، يكرمهم ويعزهم ، فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم الله وسلط عليهم غيرهم ، فاستكبر وظن أنه بجبروته فعل ذلك ببني إسرائيل . قال : فأخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا فأقتل من فيها وأتخذها ملكاً لي فإني

قد فرغت من الأرض ، قالوا : ما يقدر عليها أحد من الخلائق ، قال : لتفعلن أو لأقتلنكم عن آخركم ، قبكوا وتضرعوا إلى الله تعالى فبعث الله عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت بأم دماغه ، فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه ، فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه ليري الله العباد قدرته ، ونجى الله من بقي من بني إسرائيل في يديه ، فردوهم إلى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه . ويزعمون : أن الله تعالى أحيا أولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ، ثم إنهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله تعالى وكانت التوراة قد احترقت ، وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشام يبكي عليها ليله ونهاره ، وقد خرج من الناس ، فهو كذلك إذ أقبل إليه رجل فقال يا عزير مايبكيك ؟ قال أبكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا ، الذي لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره ، قال : أفتحب أن يرد إليك ؟ ارجع فصم وتطهر ، وطهر ثيابك ، ثم موعدك هذا المكان غداً ، فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ، ثم عمد إلى المكان الذي وعده فجلس فيه ، فأتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء ، وكان ملكاً بعثه الله إليه فسقاه من ذلك الإناء ،فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبوه حتى لم يحبوا حبه شيئاً قط ، ثم قبضه الله وجعلت بنو إسرائيل بعد ذلك يحدثون الأحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ، ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى ، وكانوا من بيت آل داود ، فمات زكريا ، وقيل قتل زكريا ، فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم ، وقتلوا يحيى ، بعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوش ، فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأساً من رؤوس جنوده يدعى بيورزاذان صاحب القتل ، فقال : إني قد كنت حلفت بإلهي لئن أنا ظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري ، إلا أني لا أجد أحداً أقتله ، فأمره أن يقتلهم حتى بلغ ذلك منهم بيورزاذان ، ودخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد دماً يغلي فسألهم ،فقال : يا بني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي ؟ أخبروني خبره ، قالوا: هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي ، ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فيقبل منا إلا هذا ، فقال : ما صدقتموني ، فقالوا: لو كان كأول زماننا لتقبل منا ، ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل منا ، فذبح منهم بيورزاذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين زوجاً من رؤوسهم ، فلم يهدأ ، فأمر فأتي بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من شيبهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد ، فلما رأى

بيورزاذان الدم لا يهدأ قال لهم : يا بني إسرائيل ويلكم اصدقوني ، واصبروا على أمر ربكم ، فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار أنثى ولا ذكر إلا قتلته ، فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر ، فقالوا : إن هذا الدم دم نبي كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أنا أطعناه فيها لكان أرشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه ، فقتلناه فهذا دمه ، فقال لهم بيورزاذان : ما كان اسمه ؟ قالوا : يحيى بن زكريا ، قال الآن صدقتموني ، لمثل هذا انتقم ربكم منكم . فلما رأى بيورزاذان أنهم صدقوه خر ساجداً وقال لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة ، وأخرجوا من كان هاهنا من جيش خردوش ، وخلا في بني إسرائيل ، ثم قال : يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدأ بإذن ربك قبل أن لا أبقى من قومك أحداً ، فهدأ الدم بإذن الله ، ورفع بيورزاذان عنهم القتل ، وقال آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل وأيقنت أنه لا رب غيره ،وقال لبني إسرائيل :إن خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره ، وإني لست أستطيع [أن أعصيه] ، قالوا له : افعل ما أمرت به ، فأمرهم فحفروا خندقاً ، وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر ، وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم ، فلم يظن خردوش إلا أن ما في الخندق من بني إسرائيل ، فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى بيورزاذان أن ارفع عنهم القتل . ثم انصرف إلى بابل ، وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد [أن يفنيهم] ، وهي الوقعة الأخيرة التي أنزل الله ببني إسرائيل ، وذلك قوله : " لتفسدن في الأرض مرتين" ، فكانت الوقعة الأولى بختنصر وجنوده ، [والأخرى خردوش وجنوده] ، وكانت أعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية ، وانتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم اليونانية إلا أن بقايا من بني إسرائيل كثروا ، وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك ، وكانوا في نعمة إلى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث فسلط الله عليهم ططيوس بن اسبيانوس الرومي ، فأخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة فليسوا في أمة إلا وعليهم الصغار والجزية ، وبقي بيت المقدس خراباً إلى أيام عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بأمره . قال قتادة : بعث الله عليهم جالوت في الأولى فسبى وقتل وخرب " ثم رددنا لكم الكرة عليهم " يعني في زمان داود ، فإذا جاء وعد الآخرة بعث الله عليهم بختنصر فسبى وخرب ، ثم قال : " عسى ربكم أن يرحمكم " فعاد الله عليهم بالرحمة ثم عاد القوم بشر ما بحضرتهم ، فبعث الله عليهم ما شاء من نقمته وعقوبته ، ثم بعث الله عليهم العرب كما قال " وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من

يسومهم سوء العذاب " ، فهم في العذاب إلي يوم القيامة. وذكر السدي بإسناده : أن رجلاً من بني إسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل ، يدعى بختنصر ، وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم ، فأقبل ليسأل عنه حتى نزل على أمه وهو يحتطب ، فجاء وعلى رأسه حزمة حطب ، فألقاها ثم قعد ، فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم ، فقال : اشتر بهذا طعاماً وشراباً ، فاشتري بدرهم لحماً ، وبدرهم خبزاً ، وبدرهم خمراً ، فأكلوا وشربوا ، وفعل في اليوم الثاني كذلك وفي اليوم الثالث كذلك ،ثم قال : إني أحب أن تكتب لي أماناً إن أنت ملكت يوماً من الدهر ،[فقال : تسخر مني ؟ فقال : إني لا أسخر منك ، ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يداً ، فكتب له أماناً ، وقال : أرأيت] إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك ، قال : ترفع صحيفتك على قصبة فأعرفك ، فكتب له وأعطاه ،ثم إن ملك بنى إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ويدني مجلسه وأنه هوى ابنة امرأته ، وقال ابن عباس : ابنة أخته ، فسأل يحيى بن زكريا عن تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى بن زكريا ، وعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثياباً رقاقاً حمراً ، وطيبتها وألبستها الحلي وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه ، فإن أرادها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته ، فإذا أعطاها سألت رأس يحيى بن زكريا أن يؤتى به في طست ،ففعلت ، فلما أرادها قالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك ، قال : ما تسأليني ؟ قالت : رأس يحيى بن زكريا في هذا الطست ، فقال : ويحك سليني غير هذا ،فقالت : ما أريد إلا هذا ، فلما أصبح إذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقى عليه فرقى الدم يعني صعد الدم يغلي ،ويلقي عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي ، فبعث صخابين ملك بابل جيشاً إليهم وأمر عليهم بختنصر ، فسار بختنصر وأصحابه حتى بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم ، فلما اشتد عليهم المقام أراد الرجوع فخرجت إليه عجوز من عجائز بني إسرائيل ، فقالت : تريد أن ترجع قبل فتح المدينة ؟ قال : نعم ، قد طال مقامي وجاع أصحابي ، قالت : أرأيت إن فتحت لك المدينة تعطيني ما أسألك فتقتل من أمرتك بقتله وتكف إذا أمرتك أن تكف ؟ قال : نعم ، قالت : إذا أصبحت تقسم جندك أربعة أرباع ، ثم أقم على كل زاوية ربعاً ، ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء فنادوا : إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا ، فإنها سوف تتساقط ، ففعلوا فتساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها ، فقالت : كف يدك وانطلقت به إلى دم يحيى بن زكريا وقالت : اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفاً حتى سكن ، فلما سكن قالت : كف يدك ، فإن الله لم يرض إذا قتل نبي حتى يقتل من قتله ومن رضي بقتله ، وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل

بيته ، فخرب بيت المقدس وطرح فيه الجيف ، وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا ، وذهب معه بوجوه بني إسرائيل وذهب بدانيال وقوم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت ، فلما قدم بابل وجد صخابين قد مات فملك مكانه ، وكان أكرم الناس عنده دانيال وأصحابه ، فحسدهم المجوس ووشوا بهم إليه وقالوا : إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ولا يأكلون ذبيحتك ، فسألهم فقالوا : أجل إن لنا رباً نعبده ، ولسنا نأكل من ذبيحتكم فأمر الملك بخد فخد لهم فألقوا فيه وهم ستة ، وألقى معهم بسبع ضار ليأكلهم ، فذهبوا ثم راحوا فوجدوهم جلوساً والسبع مفترش ذراعيه معهم لم يخدش منهم أحداً ، ووجدوا معهم رجلاً سابعاً ، فقال : ما هذا السابع إنما كانوا ستة فخرج السابع وكان ملكاً فلطمه لطمة فصار في الوحوش ، ومسخه الله سبع سنين . وذكر وهب : أن الله مسخ بختنصر نسراً في الطير ثم مسخه ثوراً في الدواب ، ثم مسخه أسداً في الوحوش ،فكان مسخه سبع سنين،وقلبه في ذلك قلب إنسان ، ثم رد الله إليه ملكه فآمن ،فسئل وهب أكان مؤمناً ؟ فقال : وجدت أهل الكتاب اختلفوا فيه فمنهم من قال مات مؤمناً ومنهم من قال أحرق بيت المقدس وكتبه وقتل الأنبياء ، فغضب الله عليه فلم يقبل توبته . وقال السدي : ثم إن بختنصر لما رجع إلى صورته بعد المسخ ورد الله إليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس ، وقالوا لبختنصر : إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عاراً فجعل لهم طعاماً وشراباً فأكلوا وشربوا ،وقال للبواب : انظر أول من يخرج ليبول فاضربه بالطبرزين ،فإن قال أنابختنصر ،فقل : كذبت ، بختنصر أمرني ، فكان أول من قام للبول بختنصر فلما رآه البواب شد عليه ، فقال : ويحك أنا بختنصر ، فقال : كذبت ، بختنصر أمرني ، فضربه فقتله ، هذا ما ذكره في المبتدأ ، إلا أن رواية من روى أن بختنصر غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا غلط عند أهل السير ، بل هم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم شعياء في عهد أرمياء ، ومن وقت أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا أربعمائة وإحدى وستون سنة ، وذلك أنهم كانوا يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس إلى حين عمارته في عهد كيرش بن أخشورش بن أصيهيد ببابل من قبل بهمن بن اسفنديار [سبعين سنة ، ثم من بعد عمارته إلى ظهور الاسكندر على بيت المقدس ثمان وثمانون سنة، ثم من بعد مملكته] إلى مولد يحيى بن زكريا ثلثمائة وستون سنة . والصحيح من ذلك ما ذكر محمد بن إسحاق . قوله عز وجل : " وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب " أي : أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتب أنهم سيفسدون . والقضاء على وجوه : يكون أمراً ، كقوله : " وقضى ربك "

(الإسراء - 23) ويكون حكماً ،كقوله : " إن ربك يقضي بينهم " (يونس - 93 ، والنحل - 78) ويكون خلقاً كقوله : " فقضاهن سبع سماوات " (فصلت - 2) وقال ابن عباس و قتادة : يعني وقضينا عليهم ، و (إلى) بمعنى (على) ، والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ . " لتفسدن " ، لام القسم ، مجازه : والله لتفسدن ، " في الأرض مرتين " ، بالمعاصي ، والمراد بالأرض : أرض الشام وبيت المقدس، " ولتعلن " ، و لتستكبرن ، ولتظلمن الناس ،" علواً كبيراً " .

5 - " فإذا جاء وعد أولاهما " ، يعني : أولى المرتين. قال قتادة : إفسادهم في المرة الأولى ما خالفوا من أحكام التوراة ، وركبوا المحارم . وقال ابن إسحاق إفسادهم في المرة الأولى قتل شعياء بين الشجرة وارتكابهم المعاصي . " بعثنا عليكم عباداً لنا " ، قال قتادة يعني جالوت الخزري وجنوده ، وهو الذي قتله داود . وقال سعيد بن جبير : يعني سنجاريب من أهل نينوى . وقال ابن إسحاق : بختنصر البابلي وأصحابه . وهو الأظهر . " أولي بأس " ، ذوي بطش ، " شديد " ، في الحرب ، " فجاسوا " ، أي : فطافوا وداروا ، " خلال الديار " ، وسطها يطلبونكم ويقتلونكم ، والجوس طلب الشيء بالاستقصاء . قال الفراء : جاسوا قتلوكم بين بيوتكم . " وكان وعداً مفعولاً " ، قضاء كائناً لا خلف فيه .

6 - " ثم رددنا لكم الكرة " ، يعني : الرجعة والدولة ، " عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً " ، عدداً ، أي : من ينفر معهم وعاد البلد أحسن مما كان .

7 - " إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم " ، أي : لها ثوابها ، " وإن أسأتم فلها " ، أي : فعليها ، كقوله تعالى : " فسلام لك " (الواقعة - 91) أي : عليك . وقيل : فلها الجزاء والعقاب . " فإذا جاء وعد الآخرة " أي : المرة الآخرة من إفسادكم ، وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع ، وقتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام ، فسلط الله عليهم الفرس والروم ، خردوش وطيطوس حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن ديارهم ، فذلك قوله تعالى: " ليسوءوا وجوهكم " ، أي : تحزن وجوهكم ، وسوء الوجه بإدخال الغم والحزن قرأ الكسائي [و يعقوب] . " بسوء " بالنون وفتح الهمزة على التعظيم ، كقوله : " وقضينا " و " بعثنا " وقرأ ابن عامر و حمزة بالياء [وفتح] الهمزة [على التوحيد] ، أي : ليسوء الله وجوهكم ، وقيل : ليسوء الوعد وجوهكم . وقرأ الباقون بالياء وضم الهمزة على الجمع ، أي ليسوء العباد أولو البأس الشديد وجوهكم . " وليدخلوا المسجد " ، يعني : بيت المقدس ونواحيه ، " كما دخلوه أول مرة وليتبروا " ، وليهلكوا ، " ما علوا " أي : ما غلبوا عليه من بلادكم " تتبيراً " .

8 - " عسى ربكم " ، يا بني إسرائيل ، " أن يرحمكم " ،بعد انتقامه

منكم ، فيرد الدولة إليكم ، " وإن عدتم عدنا " ، أي : إن عدتم إلى المعصية عدنا إلى العقوبة . قال قتادة : فعادوا فبعث الله عليهم محمداً صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون . " وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً " ، سجناً ومحبساً من الحصر وهو الحبس . قال الحسن : حصيراً أي : فراشاً . وذهب إلى الحصير الذي يبسط ويفرش .

9 - " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " ، أي : إلى الطريقة التي هي أصوب . وقيل : الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله ، " ويبشر " ، يعني : القرآن ، " المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم " ، بأن لهم ، " أجراً كبيراً " ، وهو الجنة .

10 - " وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً " ، وهو النار .

11 - وقوله تعالى : " ويدع الإنسان " ، حذف الواو لفظاً لاستقبال اللام الساكنة كقوله : " سندع الزبانية " (العلق - 18) ، وحذف في الخط أيضاً وهي غير محذوفة في المعنى . ومعناه : ويدعو الإنسان على ماله وولده ونفسه ، " بالشر " ، فيقول عند الغضب : اللهم العنه وأهلكه ونحوهما ، " دعاءه بالخير " ، أي : كدعائه ربه [بالخير] أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ، ولكن الله لا يستجيب بفضله " وكان الإنسان عجولاً " بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه . قال جماعة من أهل التفسير ، وقال ابن عباس : ضجراً ، لا صبر له على السراء والضراء .

12 - قوله عز وجل : " وجعلنا الليل والنهار آيتين " ، أي : علامتين دالتين على وجودنا ووحدانيتنا وقدرتنا ، " فمحونا آية الليل " ، قال ابن عباس : جعل الله نور الشمس سبعين جزءاً ،ونور القمر كذلك ، فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءاً فجعلها مع نور الشمس . وحكى أن الله تعالى أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور . سأل ابن الكواء علياً عن السواد الذي في القمر ؟ قال : هو أثر محو . " وجعلنا آية النهار مبصرةً " ، منيرة مضيئة ، يعني يبصر بها . قال الكسائي : تقول العرب أبصر النهار إذا أضاء بحيث يبصر بها ، " لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب " ، أي : لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ، ولم يدر الصائم متى يفطر ، ولم يدر وقت الحج ولا وقت حلول الآجال ولا وقت السكون والراحة . " وكل شيء فصلناه تفصيلاً " .

13 - قوله عز وجل :" وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه " ،

قال ابن عباس : عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان . وقال الكلبي و مقاتل : خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسبه به . وقال الحسن : يمنه وشؤمه . وعن مجاهد : ما من مولود إلا في عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد . وقال أهل المعاني : أراد بالطائر ما قضى الله عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة سمي (طائراً) على عادة العرب فيما كانت تتفاءل وتتشاءم به من سوانح الطير وبوارحها . وقال أبو عبيدة و القتيبي : أراد بالطائر حظه من الخير والشر ، من قولهم : طار سهم فلان بكذا ، وخص العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق وغيرهما مما يزين أو يشين ، فجرى على كلام العرب بتشبيه الأشياء اللازمة إلى الأعناق . " ونخرج له " ، يقول الله تعالى : ونحن نخرج له ، " يوم القيامة كتاباً " ، وقرأ الحسن و مجاهد و يعقوب : " ونخرج له " بفتح الياء وضم الراء ، معناه : ويخرج له الطائر يوم القيامة كتاباً . وقرأ أبو جعفر " يخرج " بالياء وضمها وفتح الراء . " يلقاه " ، قرأ ابن عامر و أبو جعفر " يلقاه " بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف ، يعني : يلقى الإنسان ذلك الكتاب ، أي : يؤتاه . وقرأ الباقون بفتح الياء خفيفة أي لا يراه " منشوراً " ، وفي الآثار : إن الله تعالى يأمر الملك بطي الصحيفة إذا تم عمر العبد فلا تنشر إلى يوم القيامة .

14 - " اقرأ كتابك " ، أي : يقال له : اقرأ كتابك ، قوله تعالى : " كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً " ، محاسباً . قال الحسن : لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك . قال قتادة سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا .

15 - " من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه " ، لها ثوابه ، " ومن ضل فإنما يضل عليها " ، لأن عليها عقابه . " ولا تزر وازرة وزر أخرى " ، أي : لا تحمل حاملة حمل أخرى من الآثام ، أي : لا يؤخذ أحد بذنب أحد ، " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً " ، إقامةً للحجة وقطعاً للعذر ، وفيه دليل على أن ما وجب وجب بالسمع لا بالعقل .

16 - " وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيها " ، قرأ مجاهد : " أمرنا " بالتشديد أي : سلطنا شرارها فعصوا ، وقرأ الحسن و قتادة و يعقوب " أمرنا " بالمد ، أي : أكثرنا . وقرأ الباقون مقصوراً مخففاً ، أي : أمرناهم بالطاعة فعصوا ، ويحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء ، ويحتمل أن تكون بمعنى أكثرنا ، يقال : أمرهم الله أي كثرهم الله . وفي الحديث : (خير المال مهرة مأمورة) أي كثيرة النسل . ويقال : منه أمر القوم يأمرون أمراً إذا كثروا ، وليس من الأمر بمعنى الفعل ، فإن الله لا يأمر بالفحشاء . واختار أبو عبيدة قراءة العامة وقال : لأن المعاني الثلاثة تجتمع فيها يعني الأمر والإمارة والكثرة . " مترفيها "

منعميها وأغنياءها " ففسقوا فيها فحق عليها القول " ، وجب عليها العذاب ، " فدمرناها تدميراً " ، أي :خربناها وأهلكنا من فيها . أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا يحيى بن بكر ، حدثنا الليث عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبي سفيان ، عن زينب بنت جحش أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعاً وهو يقول : " لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها قالت زينب فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث " .

17 - قوله : " وكم أهلكنا من القرون " أي : المكذبة ، " من بعد نوح " ، يخوف كفار مكة ، " وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً " ، قال عبد الله بن أبي أوفى : القرن مائة وعشرون سنة ، فبعث الله صلى الله عليه وسلم في أول قرن ، وكان في آخره يزيد بن معاوية . وقيل : مائة سنة . وروي عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بسر المازني "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال : سيعيش هذا الغلام قرناً " قال محمد بن القاسم فما زلنا نعد له حتى تم له مائة سنة ، ثم مات . قال الكلبي : ثمانون سنة . وقيل : أربعون سنة .

18 - " من كان يريد العاجلة " ، يعني الدنيا ، أي : الدار العاجلة ، " عجلنا له فيها ما نشاء " ، من البسط والتقتير ، " لمن نريد " ، أن نفعل به ذلك أو إهلاكه ، " ثم جعلنا له " في الآخرة ، " جهنم يصلاها " ، يدخل نارها ، " مذموماً مدحوراً " ، مطروداً مبعداً .

19 - " ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها " ، عمل عملها،" وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً " ، مقبولاً .

20 - " كلا نمد هؤلاء وهؤلاء " ، أي : نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة ، " من عطاء ربك " ، أي : يرزقهما جميعا ثم يختلف بهما الحال في المآل ، " وما كان عطاء ربك " ، رزق ربك ، " محظوراً " ، ممنوعاً عن عباده ،فالمراد من العطاء : العطاء في الدنيا وإلا فلا حظ للكفار في الآخرة .

21 - " انظر " ، يا محمد ، " كيف فضلنا بعضهم على بعض " ، في الرزق والعمل [الصالح] يعني : طالب العاجلة وطالب الآخرة ، " وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً " .

22 - " ولا تجعل مع الله إلهاً آخر " ، الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره . وقيل : معناه لا تجعل أيها الإنسان [مع الله إلهاً آخر] ، " فتقعد مذموماً مخذولاً " ، مذموماً من غير حمد ، مخذولاً من غير نصر .

23 - قوله عز وجل : " وقضى ربك " ، وأمر ربك ، قاله ابن عباس و قتادة و الحسن . قال الربيع بن أنس : وأوجب ربك . قال مجاهد : وأوصى ربك . وحكى عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأها ووصى ربك . وقال : إنهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافاً . " أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا " ، أي : وأمر بالوالدين إحساناً براً بهما وعطفاً عليهما . " إما يبلغن عندك الكبر " ،قرأ حمزة و الكسائي بالألف على التثنية فعلى هذا قوله : " أحدهما أو كلاهما "، كلام مستأنف ، كقوله تعالى " ثم عموا وصموا كثير منهم " (المائدة - 71) وقوله " وأسروا النجوى الذين ظلموا " ، وقوله : " الذين ظلموا " ابتداء وقرأ الباقون " يبلغن " على التوحيد . " فلا تقل لهما أف " ، فيه ثلاث لغات ، قرأ ابن كثير و ابن عامر ، و يعقوب : بفتح الفاء ،وقرأ أبو جعفر ، و نافع ، و حفص بالكسر والتنوين والباقون بكسر الفاء غير منون ، ومعناها واحد وهي كلمة كراهية . قال أبو عبيدة : أصل التف والأف الوسخ على الأصابع إذا فتلتها . وقيل : (الأف) : ما يكون في المغابن من الوسخ ، و(التف) : ما يكون في الأصابع . وقيل : (الأف) : وسخ الأذن و(التف) وسخ الأظافر . وقيل : (الأف) : وسخ الظفر ، و (التف) : ما رفعته بيدك من الأرض من شيء حقير . " ولا تنهرهما " ، ولا تزجرهما . " وقل لهما قولاً كريماً " ، حسناً جميلاً ليناً ، قال ابن المسيب : كقول العبد المذنب للسيد الفظ . وقال مجاهد : لا تسميهما ، ولا تكنهما ، وقل : يا أبتاه [يا أماه] . وقال مجاهد : في هذه الآية أيضاً : إذا بلغا عندك من الكبر ما يبولان فلا تتقذرهما ، ولا تقل لهما أف حين تميط عنهما الخلاء والبول كما كانا يميطانه عنك صغيراً .

24 - " واخفض لهما جناح الذل " ، أي ألن جانبك لهما واخضع . قال عروة بن الزبير لن لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحباه " من الرحمة " ، من الشفقة ، " وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً " ، أراد : إذا كانا مسلمين .قال ابن عباس : هذا منسوخ بقوله : " ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين " (التوبة - 13) . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ، حدثنا حميد بن زنجويه ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن يزيد عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن - يعني السلمي - عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ إن شئت أو ضيع " . أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزراد ، أخبرنا أبو بكر محمد بن إدريس الجرجاني ، أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين الماليني ، أخبرنا حسن بن سفيان ، حدثنا يحيى بن حبيب بن عدي ، حدثنا خالد بن الحارث ، عن شعبة ، عن يعلي بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن

عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " رضا الله في رضا الوالد ، وسخط الله في سخط الوالد " . أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي ، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار ، حدثنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تمام الضبي ، حدثنا عبد الله بن مسلمة ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لا يدخل الجنة منان ، ولا عاق ، ولا مدمن خمر " . أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن باموية الأصفهاني ، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن زياد البصري ، أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا ربعي بن علية ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ،ورغم أنف رجل أتى عليه شهر رمضان فلم يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك أبويه الكبر فلم يدخلاه الجنة ".

25 - " ربكم أعلم بما في نفوسكم " ، من بر الوالدين وعقوقهما ، " إن تكونوا صالحين " ، أبراراً مطيعين بعد تقصير كما كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغير ذلك ، " فإنه كان للأوابين " بعد المعصية " غفوراً " . قال سعيد بن جبير في هذه الآية : هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير فإنه لا يؤاخذ به . قال سعيد بن المسيب : (الأواب) الذي يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب . قال سعيد بن جبير : الرجاع إلى الخير . وعن ابن عباس قال : هو الرجاع إلى الله فيما يحزبه وينوبه . وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس : هم المسبحون ، دليله قوله : " يا جبال أوبي معه " (سبأ - 10) قال قتادة : هم المصلون . قال عوف بن عقيل : هم الذين يصلون صلاة الضحى . أخبرنا أبو الحسن طاهر بن الحسين الروقي الطوسي ، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب ، أخبرنا أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف ، حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا وكيع عن هشام صاحب الدستوائي ، عن قتادة ، عن القاسم بن عوف ، عن زيد بن أرقم قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون صلاة الضحى ، فقال : " صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال من الضحى " . وقال محمد بن المنكدر : (الأواب) : الذي يصلي بي المغرب والعشاء . وروي عن ابن عباس أنه قال : إن لملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء ، وهي صلاة الأوابين .

26 - قوله تعالى : " وآت ذا القربى حقه " ، يعني صلة الرحم ، وأراد به : قرابة الإنسان ، وعليه الأكثرون . عن علي بن الحسين :

أراد به قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم . " والمسكين وابن السبيل ، ولا تبذر تبذيراً " ، أي : لا تنفق مالك في المعصية . وقال مجاهد : لو أنفق الإنسان ماله كله في الحق ما كان تبذيراً ، ولو أنفق مداً في باطل كان تبذيراً . وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال : إنفاق المال في غير حقه . قال شعبة : كنت أمشي مع أبي إسحاق في طريق الكوفة ، فأتى على باب دار بني بجص وآجر ، فقال : هذا التبذير . وفي قول عبد الله: إنفاق المال من غير حقه .

27 - " إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين " ، أي : أولياءهم ، والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم هو أخوهم . " وكان الشيطان لربه كفوراً " ، جحوداً لنعمة .

28 - " وإما تعرضن عنهم " ، نزلت في مهجع ، وبلال ، وصهيب ، وسالم ، وخباب ، كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم في الأحايين ما يحتاجون إليه ، ولا يجد ، فيعرض عنهم حياءً منهم ويمسك عن القول ، فنزل " وإما تعرضن عنهم " ، وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرك أن تؤتيهم ، " ابتغاء رحمة من ربك ترجوها " ، انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك ، " فقل لهم قولاً ميسوراً " ليناً ، وهي العدة ،أي : عدهم وعداً جميلاً . وقيل : القول الميسور أن تقول : يرزقنا الله وإياك .

29 - " ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك " ، قال جابر : أتى صبي فقال : يا رسول الله إن أمي تستكسيك درعاً ،ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قميصه ، فقال للصبي : من ساعة إلى ساعة يظهر ، فعد وقتاً آخر ، فعاد إلى أمه فقالت : قل له : إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره فنزع قميصه فأعطاه إياه ، وقعد عرياناً ، فأذن بلال للصلاة ، فانتظروه فلم يخرج ، فشغل قلوب أصحابه ، فدخل عليه بعضهم فرآه عرياناً ، فأنزل الله تعالى : " ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك " يعني : ولا تمسك يدك عن النفقة في الحق كالمغلولة يده لا يقدر على مدها . " ولا تبسطها " ، بالعطاء " كل البسط " ، فتعطي جميع ما عندك ، " فتقعد ملوماً " ، يلومك [سائلوك] بالإمساك إذا لم تعطهم . و (الملوم) الذي أتى بما يلوم نفسه ، أو يلومه غيره ، " محسوراً " منقطعاً بك ، لا شيء عندك تنفقه . يقال : حسرته بالمسألة إذا ألحفت عليه ، ودابة حسيرة إذا كانت كالة رازحة . قال قتادة : (محسوراً) نادماً على ما فرط منك .

30 - " إن ربك يبسط " ، يوسع " الرزق لمن يشاء ويقدر " ، أي : يقتر ويضيق ، " إنه كان بعباده خبيراً بصيراً " .

31 - قوله تعالى : " ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق " ، فقر ، "

نحن نرزقهم وإياكم " ، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة فنهوا عنه ،وأخبروا أن رزقهم ورزق أولادهم على الله تعالى ،" إن قتلهم كان خطأ كبيرا " ، قرأ ابن عامر و أبو جعفر " خطأ " بفتح الخاء والطاء مقصوراً . وقرأ ابن كثير بكسر الخاء ممدوداً وقرأ الآخرون بكسر الخاء وجزم الطاء ، ومعنى الكل واحد ، أي : إثماً كبيراً .

32 - " ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشةً وساء سبيلا " .

33 - " ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق " ، وحقها ما روينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : رجل كفر بعد إيمانه ، أو زنى بعد إحصانه ، أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها " . " ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً " ، أي : قوةً وولاية على القاتل بالقتل ، قال مجاهد . وقال الضحاك : سلطانه هو أنه بتخير ، فإن شاء استقاد منه ، وإن شاء أخذ الدية ، وإن شاء عفا . " فلا يسرف في القتل " ، قرأ حمزة و الكسائي : " ولا تسرفوا " بالتاء يخاطب ولي القتيل ، وقرأ الآخرون : بالياء على الغائب أي : لا يسرف الولي في القتل . واختلفوا في هذا الإسراف الذي منع منه ، فقال ابن عباس ، وأكثر المفسرين : معناه لا يقتل غير القاتل وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتلوا أشرف منه . قال سعيد بن جبير : إذا كان القاتل واحداً فلا يقتل جماعة بدل واحد ، وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول شريفاً لا يرضون بقتل القاتل [وحده] حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه . وقال قتادة : معناه لا يمثل بالقاتل . " إنه كان منصوراً " ، فالهاء راجعة إلى المقتول في قوله : " ومن قتل مظلوماً " يعني : إن المقتول منصور في الدنيا بإيجاب القود على قاتله ، وفي الآخرة بتكفير خطاياه وإيجاب النار لقاتله ، هذا قول مجاهد . وقال قتادة : الهاء راجعة إلى ولي المقتول ، معناه : إنه منصور على القاتل باستيفاء منه أو الدية . وقيل في قوله : " فلا يسرف في القتل " إنه أراد به القاتل المعتدي ، يقول : لا يتعدى بالقتل بغير الحق ، فإنه إن فعل ذلك فولي المقتول منصور من قبلي عليه باستيفاء القصاص منه .

34 - " ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد " ، بالإتيان بما أمر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه . وقيل : أراد بالعهد ما يلتزمه الإنسان على نفسه . " إن العهد كان مسؤولا " ، قال السدي : كان مطلوباً . وقيل : العهد يسأل عن صاحب العهد ، فيقال : فيم نقضت ، كالمؤودة تسأل فيم قتلت ؟

35 - " وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس " ، قرأ حمزة و الكسائي و حفص " بالقسطاس " بكسر القاف والباقون بضمه ،

وهما لغتان وهو الميزان صغر أو كبر أي : بميزان العدل . وقال الحسن : هو القبان . قال مجاهد : هو رومي . وقال غيره : هو عربي مأخوذ من القسط وهو العدل ، أي : زنوا بالعدل . " المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً " ، أي : عاقبةً .

36 - " ولا تقف ما ليس لك به علم " ، قال قتادة : لا تقل : رأيت ، ولم تره ، وسمعت ، ولم تسمعه ، وعلمت ، ولم تعلمه . وقال مجاهد : لا ترم أحداً بما ليس لك به علم . وقال القتيبي : لا تتبعه بالحدس والظن . وهو في اللغة اتباع الأثر ، يقال: قفوت فلاناً أقفوه وقفيته ، وأقفيته إذا اتبعت أثره ، وبه سميت القافية لتتبعهم الآثار . قال القتيبي : هو مأخوذ من القفا كأنه يقفو الأمور ، يكون في إقفائها يتبعها ويتعرفها . وحقيقة المعنى : لا تتكلم [أيها الإنسان] بالحدس والظن . " إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا " ، قيل: معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده. وقيل : يسأل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء . وقوله : " كل أولئك " أي : كل هذه الجوارح والأعضاء . وعلى القول الأول يرجع " أولئك " [إلى] أربابها . أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن الحسين ، أخبرنا أبو علي حامد ابن محمد الرفاء ، حدثنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز ، أخبرنا الفضل بن دكين ، حدثنا سعد بن أوس العبسي ، حدثني بلال بن يحيى العبسي أن شتير بن شكل أخبره عن أبيه شكل بن حميد قال : "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا نبي الله علمني تعويذاً أتعوذ به ، فأخذ بيدي ثم قال : قل : اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ، وشر بصري ، وشر لساني ، وشر قلبي ، وشر مني قال : فحفظتها ، قال سعد : المني ماؤه ".

37 -" ولا تمش في الأرض مرحاً " ، أي بطراً وكبراً وخيلاء ، وهو تفسير المشي ، فلذلك أخرجه على المصدر ، " إنك لن تخرق الأرض " أي : لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها ، " ولن تبلغ الجبال طولاً " أي: لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك . معناه : أن الإنسان لا ينال بكبره وبطره شيئاً ، كمن يريد خرق الأرض ومطاولة الجبال لا يحصل على شيء . وقيل : ذكر ذلك لأن من مشى مختالاً يمشي مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه ، فقيل له : إنك لن تنقب الأرض إن مشيت على عقبيك ، ولن تبلغ الجبال طولاً إن مشيت على صدور قدميك . أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني ، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي ، أخبرنا الهيثم بن كليب ، حدثنا أبو عيسى الترمذي ،حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا أبي ، عن المسعودي ، عن عثمان بن مسلم بن هرمز ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن علي قال :" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى يتكفأ تكفؤاً ، كأنما

ينحط من صبب " . أخبرنا أبو محمد الجرجاني ، أخبرنا أبو القاسم الخزاعي ، أخبرنا الهيثم بن كليب ، حدثنا أبو عيسى الترمذي ، حدثنا قتيبة بن سعد ، حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي يونس ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأن الشمس تجري في وجهه ، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له ، إنا لنجهد أنفسنا ، وإنه لغير مكترث ".

38 - " كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً " ، قرأ ابن عامر وأهل الكوفة : برفع الهمزة وضم الهاء ، على الإضافة ، ومعناه : كل الذي ذكرنا من قوله : " وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه " " كان سيئه " أي : سئ ما عددنا عليك عند ربك مكروهاً ، لأنه قد عد أموراً حسنة كقوله : " وآت ذا القربى حقه " " واخفض لهما جناح الذل " وغير ذلك . وقرأ الآخرون : " سيئة " منصوبة منونة يعني : كل الذي ذكرنا من قوله : " ولا تقتلوا أولادكم " إلى هذا الموضع سيئة لا حسنة فيه ، إذ الكل يرجع إلى المنهي عنه دون غيره ، ولم يقل مكروهة لأن فيه تقديماً وتأخيراً ، وتقديره : كل ذلك كان مكروهاً سيئةً : [وقوله " مكروهاً " على التكرير ، لا على الصفة ، مجازه : كل ذلك كان سيئةً وكان مكروهاً] ، أو رجع إلى المعنى دون اللفظ ، لأن السيئة الذنب وهو مذكر .

39 - " ذلك " الذي ذكرنا ، " مما أوحى إليك ربك من الحكمة " . وكل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو حكمه . " ولا تجعل مع الله إلهاً آخر " ، خاطب النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات والمراد منه الأمة ، " فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً " ، مطروداً مبعداً من كل خير .

40 - قوله عز وجل : " أفأصفاكم ربكم " ، أي : اختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة ، يعني : اختاركم ، " بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً " لأنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله ، " إنكم لتقولون قولاً عظيماً " ، يخاطب مشركي مكة .

41 - قوله عز وجل : " ولقد صرفنا في هذا القرآن " ، يعني : [ما ذكر من] العبر ، والحكم ، والأمثال ، والأحكام ، والحجج ، والإعلام ، والتشديد للتكثير والتكرير ، " ليذكروا " أي : ليتذكروا ويتعظوا ، وقرأ حمزة و الكسائي بإسكان الذال وضم الكاف وكذلك في الفرقان . " وما يزيدهم " ، تصريفنا وتذكيرنا ، " إلا نفوراً " ، ذهاباً وتباعداً عن الحق .

42 - " قل " ، يا محمد لهؤلاء المشركين ، " لو كان معه آلهة كما يقولون " ، قرأ حفص و ابن كثير " يقولون " بالياء وقرأ الآخرون بالتاء ، " إذاً لابتغوا" ، لطلبوا يعني الآلهة " إلى ذي العرش سبيلاً " ، بالمبالغة والقهر ليزيلوا ملكه ، كفعل ملوك الدنيا بعضهم

ببعض . وقيل : معناه لطلبوا إلى ذي العرش سبيلاً بالتقرب إليه . قال قتادة : ليعرفوا الله وفضله وابتغوا ما يقربهم إليه . والأول أصح . ثم نزه نفسه ، فقال عز من قائل :

43 - " سبحانه وتعالى عما يقولون " ، قرأ حمزة و الكسائي " تقولون " بالتاء والآخرون بالياء ، " علواً كبيراً " .

44 - " تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن " ، قرأ أبو عمرو ، و حمزة ، و الكسائي ، حفص ، و يعقوب : " تسبح " بالتاء وقرأ الآخرون بالياء للحائل بين الفعل والتأنيث . " وإن من شيء إلا يسبح بحمده " ، روي عن ابن عباس أنه قال : وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده . وقال قتادة : يعني الحيوانات والناميات . وقال عكرمة : الشجرة تسبح ،والأسطوانة لا تسبح . وعن المقدام بن معد يكرب قال : إن التراب يسبح ما لم يبتل ، فإذا ابتل ترك التسبيح ، وإن الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها، فإذا رفعت تركت التسبيح ، وإن الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة فإذا سقطت تركت التسبيح ، وإن الثوب ليسبح ما دام جديداً فإذا وسخ ترك التسبيح ، وإن الماء يسبح مادام جارياً فإذا ركد ترك التسبيح ، وإن الوحش والطير تسبح إذا صاحت فإذا سكنت تركت التسبيح . وقال إبراهيم النخعي : وإن من شيء جماد وحي إلا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف . وقال مجاهد : كل الأشياء تسبح ، حياً كان أو ميتاً أو جماداً ، وتسبيحها سبحان الله وبحمده . أخبرنا عبد الواحد المليحي ،أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا محمد بن المثنى ، أخبرنا أبو أحمد الزبير ، أخبرنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : " كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفاً ، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال : اطلبوا فضلة من ماء ، فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال : حي على الطهور المبارك ، والبركة من الله ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل" . وقال بعض أهل المعاني : تسبح السموات والأرض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء ما دلت بلطيف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها، فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها . والأول هو المنقول عن السلف . واعلم أن الله تعالى علماً في الجمادات لا يقف عليه غيره ، فينبغي أن يوكل علمه إليه . " ولكن لا تفقهون تسبيحهم " ، أي لا تعلمون تسبيح ما عدا من يسبح بلغاتكم وألسنتكم ، " إنه كان حليماً غفوراً " .

45 - قوله عز وجل : " وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً " ، يحجب قلوبهم عن فهمه

والانتفاع به . قال قتادة : هو الأكنة ، والمستور بمعنى الساتر كقوله : " إنه كان وعده مأتياً" (مريم - 61) مفعول بمعنى الفاعل . وقيل : مستور عن أعين الناس فلا يرونه . وفسره بعضهم بالحجاب عن الأعين الظاهرة ، كما روي عن سعيد بن جبير أنه " لما نزلت : " تبت يدا أبي لهب " جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر، والنبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر ، فلم تره ، فقالت لأبي بكر : أين صاحبك لقد بلغني أنه هجاني ؟ فقال : والله ما ينطق بالشعر ، ولا يقوله ، فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ رأسه ، فقال أبو بكر : ما رأتك يا رسول الله ، قال : لا ، لم يزل ملك بيني وبينها يسترني " .

46 - " وجعلنا على قلوبهم أكنة " ، أغطية ، " أن يفقهوه " ، كراهية أن يفقهوه . وقيل : لئلا يفقهوه ، " وفي آذانهم وقراً " ، ثقلاً لئلا يسمعوه . " وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده " ، يعني إذا قلت:لا إله إلا الله في القرآن وأنت تتلوه ، " ولوا على أدبارهم نفوراً" ، جمع (نافر) ، مثل : قاعد ، وقعود، وجالس ، وجلوس ، أي نافرين .

47 - " نحن أعلم بما يستمعون به " ، قيل : (به) صلة ، أي : يطلبون سماعه ،" إذ يستمعون إليك " ، وأنت تقرأ القرآن ،" وإذ هم نجوى" ، يتناجون في أمرك . وقيل : ذوو نجوى ، فبعضهم يقول : هذا مجنون ، وبعضهم يقول : كاهن ، وبعضهم يقول : ساحر ، وبعضهم يقول : شاعر . " إذ يقول الظالمون " ، يعني : الوليد بن المغيرة وأصحابه ، " إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً " ، مطبوباً . [وقال مجاهد] : مخدوعاً . وقيل : مصروفاً عن الحق . يقال : ما سحرك عن كذا أي ما صرفك ؟ وقال أبو عبيدة : أي رجلاً له سحر ، والسحر :الرئة ، أي : إنه بشر مثلكم معلل بالطعام والشراب يأكل ويشرب قال الشاعر أرانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب أي : نغذى ونعلل .

48 - " انظر " ، يا محمد ، " كيف ضربوا لك الأمثال " ، الأشباه ، قالوا : شاعر وساحر وكاهن ومجنون ،" فضلوا " ، فحاروا وحادوا ،" فلا يستطيعون سبيلاً " أي : وصولاً إلى طريق الحق .

49 - " وقالوا أإذا كنا عظاما " بعد الموت ، " ورفاتاً " قال مجاهد : تراباً . وقيل : حطاماً . و (الرفات) : كل ما تكسر وبلى من كل شيء ، كالفتات والحطام . " أإنا لمبعوثون خلقا جديدا " .

50 - " قل " لهم يا محمد : " كونوا حجارةً أو حديداً" ، في الشدة والقوة ، وليس هذا بأمر إلزام بل هو أمر تعجيز ، أي : استشعروا في قلوبكم أنكم حجارة أو حديد في القوة .

51 - " أو خلقاً مما يكبر في صدوركم " ، قيل : السماء والأرض [والجبال] . وقال مجاهد و عكرمة وأكثر المفسرين : إنه الموت

، فإنه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت ، أي : لو كنتم الموت بعينه لأميتنكم ولأبعثنكم . " فسيقولون : من يعيدنا " ، من يبعثنا بعد الموت ؟ " قل : الذي فطركم" ، خلقكم ، " أول مرة" ومن قدر على الإنشاء قدر على الإعادة ، " فسينغضون إليك رؤوسهم " ، أي : يحركونها إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بها ، " ويقولون متى هو " ؟ أي : البعث والقيامة ، " قل عسى أن يكون قريباً " أي : هو قريب ، لأن عسى من الله واجب ، نظيره قوله تعالى : " وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً " (الأحزاب - 63)

52 - " يوم يدعوكم " من قبوركم إلى موقف القيامة، " فتستجيبون بحمده " ، قال ابن عباس : بأمره . وقال قتادة : بطاعته . وقيل : مقرين بأنه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد . وقيل : هذا خطاب مع المؤمنين فإنهم يبعثون حامدين . " وتظنون إن لبثتم " ، في الدنيا وفي القبور ، " إلا قليلاً " ، لأن الإنسان لو مكث ألوفاً من السنين في الدنيا وفي القبر عد ذلك قليلاً في مدة يوم القيامة والخلود . قال قتادة : يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة .

53 - قوله تعالى : " وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن " ، قال الكلبي : كان المشركون يؤذون المسلمين فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى : " وقل لعبادي " المؤمنين " يقولوا " للكافرين " التي هي أحسن " ولا يكافؤوهم بسفههم . قال الحسن : يقول له : يهديك الله . وكان هذا قبل الإذن في الجهاد والقتال . وقيل : نزلت في عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفار فأمره الله بالعفو . وقيل : أمر الله المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا التي هي أحسن أي : الخلة التي هي أحسن . وقيل: (الأحسن) كلمة الإخلاص لا إله إلا الله . " إن الشيطان ينزغ بينهم " ، أي : يفسد ويلقي العداوة بينهم ، " إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً " ، ظاهر العداوة .

54 - "ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم " ، يوفقكم فتؤمنوا ، " أو إن يشأ يعذبكم " ، يميتكم على الشرك فتعذبوا ، قاله ابن جريج . وقال الكلبي : إن يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة ، وإن يشأ يعذبكم فيسلطهم عليكم . "وما أرسلناك عليهم وكيلاً " حفيظاً وكفيلاً . قيل : نسختها آية القتال .

55 - " وربك أعلم بمن في السموات والأرض " ، أي : ربك العالم بمن في السموات والأرض فجعلهم مختلفين في صورهم وأخلاقهم وأحوالهم ومللهم . " ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض " ، قيل جعل أهل السموات والأرض مختلفين كما فضل بعض النبيين على بعض . قال قتادة في هذه الآية : اتخذ الله إبراهيم خليلاً ، وكلم موسى تكليماً ، وقال لعيسى: كن فيكون ، وآتى سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وآتى داود زبوراً كما

سورة الإسراء

قال : " وآتينا داود زبوراً " ، والزبور : كتاب علمه الله داود ، يشتمل على مائة وخمسين سورة ، كلها دعاء وتمجيد وثناء على الله عز وجل ، وليس فيها حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود . معناه : إنكم لم تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون فضل النبي صلى الله عليه وسلم وإعطاءه القرآن ؟ وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الأنبياء عليهم السلام من أهل الكتاب وغيرهم .

56 - قوله عز وجل : " قل ادعوا الذين زعمتم من دونه " ، وذلك أن المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف ، فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم ، قال الله تعالى : " قل" للمشركين " ادعوا الذين زعمتم من دونه " أنها آلهة " فلا يملكون كشف الضر " ، القحط والجوع ، " عنكم ولا تحويلاً " ، إلى غيركم ، أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر.

57 - " أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة " ، يعني الذين يدعونهم المشركون آلهة يعبدونهم . قال ابن عباس ، و مجاهد : وهم عيسى ، وأمه ، وعزير ، والملائكة ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ، (يبتغون) أي يطلبون إلى ربهم (الوسيلة) أي القربة . وقيل : الوسيلة الدرجة العليا ، أي : يتضرعون إلى الله في طلب الدرجة العليا . وقيل : الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله تعالى . وقوله : " أيهم أقرب " ، معناه : ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به . وقال الزجاج : أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح ،" ويرجون رحمته " ، جنته ، " ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً" ، أي يطلب منه الحذر . وقال عبد الله بن مسعود : نزلت الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون ولم يعلم الإنس الذين كانوا يعبدونهم بإسلامهم ، فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وأنزل هذه الآية . وقرأ ابن مسعود " أولئك الذين يدعون " بالتاء .

58 - " وإن من قرية " وما من قرية ، " إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة " ، أي : مخربوها ومهلكوا أهلها ، " أو معذبوها عذاباً شديداً " ، بأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا. وقال مقاتل وغيره : مهلكوها في حق المؤمنين بالإماتة ، ومعذبوها في حق الكفار بأنواع العذاب . قال عبد الله بن مسعود : إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله في هلاكها . " كان ذلك في الكتاب " ، في اللوح المحفوظ ، " مسطوراً " ، مكتوباً . قال عبادة بن الصامت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب ،فقال ما أكتب ؟ قال القدر ، وما كان وما هو كائن إلى الأبد " .

59 - قوله عز وجل : " وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون " ، قال ابن عباس : " سأل أهل مكة [رسول الله صلى

الله عليه وسلم] أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعوا، فأوحى الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم : إن شئت أن أستأني بهم فعلت ، وإن شئت أن أوتيهم ما سألوا فعلت ، فإن لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم [من الأمم] فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا بل تستأني بهم " ، فأنزل الله عز وجل : " وما منعنا أن نرسل بالآيات " التي سألها كفار قومك " إلا أن كذب بها الأولون " فأهلكناهم ، فإن لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكتهم ، لأن من سنتنا في الأمم إذا سألوا الآيات ، ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها ، أن نهلكهم ولا نمهلهم ، وقد حكمنا بإمهال هذه الأمة في العذاب ، فقال جل ذكره : " بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر " (القمر - 46) ثم قال : " وآتينا ثمود الناقة مبصرةً " ، مضيئة بينة ، " فظلموا بها " ، أي : جحدوا بها أنها من عند الله كما قال : " بما كانوا بآياتنا يظلمون " (الأعراف - 9) ،أي :يجحدون . وقيل : ظلموا أنفسهم بتكذيبها يريد فعاجلناهم بالعقوبة . " وما نرسل بالآيات " أي : العبر والدلالات ، " إلا تخويفاً " ، للعباد ليؤمنوا . قال قتادة : إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون .

60 - قوله عز وجل : " وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس " ، أي : هم في قبضته ، لا يقدرون على الخروج من مشيئته ، فهو حافظك ومانعك منهم ، فلا تهبهم وامض لما أمرك به من تبليغ الرسالة ، كما قال : " والله يعصمك من الناس " (المائدة - 67) . " وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس " ، فالأكثرون على أن المراد منه ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم [ليلة المعراج من العجائب والآيات. قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم] ، وهو قول سعيد بن جبير ، و الحسن ، و مسروق ، و قتادة ، و مجاهد ، و عكرمة ، و ابن جريج و الأكثرين . والعرب تقول : رأيت بعيني رؤية ورؤيا ، فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكر بعضهم ذلك ، وكذبوا فكان فتنة للناس . وقال قوم :[أسري بروحه دون بدنه . وقال بعضهم : كان له معراجان : معراج رؤية بالعين ، ومعراج رؤيا بالقلب . وقال قوم] . أراد بهذه الرؤيا ما رأى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه ، فجعل السير إلى مكة قبل الأجل فصده المشركون ، فرجع إلى المدينة ، وكان رجوعه في ذلك العام بعد ما أخبر أنه يدخلها فتنة لبعضهم ، حتى دخلها في العام المقبل ، فأنزل الله تعالى : " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق " (الفتح - 27) " والشجرة الملعونة في القرآن " ، يعني شجرة الزقوم ، مجازه : والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن ، والعرب تقول لكل طعام كريه : طعام ملعون . وقيل : [معناه الملعون] أكلها، ونصب الشجرة عطفاً على الرؤيا ، أي : وما

جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة إلا فتنة للناس ، فكانت الفتنة في الرؤيا ما ذكرنا . والفتنة في الشجرة الملعونة من وجهين ، أحدهما: أن أبا جهل قال : إن ابن أبي كبشة يوعدكم بنار تحرق الحجارة ، ثم يزعم أنه ينبت فيها شجرة ، وتعلمون أن النار تحرق الشجرة . والثاني أن عبد الله بن الزبعري قال : إن محمداً يخوفنا . بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر ، وقال أبو جهل : يا جارية تعالي فزقمينا فأتت بالتمر والزبد ، فقال : يا قوم [تزقموا] فإن هذا ما يخوفكم به محمد ، فوصفها الله تعالى في الصافات . وقيل : الشجرة الملعونة هي : التي تلتوي على الشجر فتجففه ، يعني الكشوث . " ونخوفهم فما يزيدهم " ، التخويف ، " إلا طغياناً كبيراً " أي : تمرداً وعتواً عظيماً .

61 - " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً " أي : خلقته من طين أنا جئت به ، وذلك ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : أن الله تعالى بعث إبليس حتى أخذ كفاً من تراب الأرض من عذبها وملحها ، فخلق منه آدم ، فمن خلقه من العذب فهو سعيد ، وإن كان ابن كافرين ، ومن خلقه من الملح فهو شقي وإن كان ابن نبيين .

62 - " قال " ، يعني إبليس : " أرأيتك " أي أخبرني ، والكاف لتأكيد المخاطبة ، " هذا الذي كرمت علي " أي : فضلته علي : " لئن أخرتن " أمهلتني " إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته " أي : لأستأصلنهم بالإضلال ، يقال احتنك الجراد الزرع إذا أكله كله . وقيل : هو من قول العرب حنك الدابة يحنكها : إذا شد في حنكها الأسفل حبلاً يقودها ، أي : لأقودنهم كيف شئت . وقيل : لأستولين عليهم بالإغواء ، " إلا قليلاً " ، يعني المعصومين الذين استثناءهم الله عز وجل في قوله :" إن عبادي ليس لك عليهم سلطان " (الحجر - 42) .

63 - " قال " الله : " اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم " أي : جزاؤك وجزاء أتباعك ، " جزاءً موفوراً " ، وافراً مكملاً ، يقال : وفرته أوفره وفراً .

64 - وقوله : " واستفزز " ، واستخفف واستجهد " من استطعت منهم " ، أي : من ذرية آدم ، " بصوتك " ، قال ابن عباس و قتادة : بدعائك إلى معصية الله . وكل داع إلى معصية الله [فهو من جند إبليس . قال الأزهري : معناه ادعهم دعاء تستفزهم به إلى جانبك ،أي : تستخفهم]. وقال مجاهد : بالغناء والمزامير . " وأجلب عليهم بخيلك ورجلك " ، قيل : اجمع عليهم مكايدك وخيلك ، ويقال : (أجلبوا) ، و (جلبوا) ، إذا صاحوا ، يقول : صح بخيلك ورجلك وحثهم عليه بالإغواء . قال مقاتل : استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم ، والخيل : الركبان ، والرجل : المشاة . قال أهل التفسير : كل راكب وماش في معاصي الله فهو من جند إبليس .

وقال مجاهد و قتادة : إن له خيلاً ورجلاً من الجن والإنس ، وهو كل من يقاتل في المعصية ، والرجل ، والرجالة والراجلة واحد ، يقال : راجل ورجل ، مثل : تاجر وتجر ، وراكب وركب ، وقرأ حفص ورجلك بكسر الجيم وهما لغتان . " وشاركهم في الأموال والأولاد " فالمشاركة في الأموال : كل ما أصيب من حرام ، أو أنفق في حرام ، هذا قول مجاهد و الحسن و سعيد بن جبير .
وقال عطاء : هو الربا وقال قتادة هو ما كان المشركون يحرمونه من الأنعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام . وقال الضحاك : هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم . وأما الشركة في الأولاد : روي عن ابن عباس : أنها المؤودة . وقال مجاهد و الضحاك : هم أولاد الزنا . وقال الحسن ، و قتادة : هو أنهم هودوا أولادهم ، ونصروهم ، ومجسوهم . وعن ابن عباس رواية أخرى : هو تسميتهم الأولاد عبد الحارث وعبد شمس ، وعبد العزى ، وعبد الدار ، ونحوها .
وروى عن جعفر بن محمد أن الشطان يقعد على ذكر الرجل فإذا لم يقل : (بسم الله) أصاب معه امرأته ، وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل . وروي في بعض الأخبار : إن فيكم مغربين ، قيل : وما المغربون ؟ قال : الذي يشارك فيهم الجن . وروي أن رجلاً قال لابن عباس : إن امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة من نار ؟ قال : ذلك من وطء الجن . وفي الآثار : إن إبليس لما أخرج إلى الأرض ، قال : يا رب أخرجتني من الجنة لأجل آدم ، فسلطني عليه وعلى ذريته ، قال : أنت مسلط ، فقال : لا أستطيعه إلا بك فزدني ، قال : استفزز من استطعت منهم بصوتك ، الآية ، فقال آدم : يا رب سلطت إبليس علي وعلى ذريتي وإني لا أستطيعه إلا بك قال : لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظونه ، قال : زدني ، قال : الحسنة بعشرة أمثالها ، والسيئة بمثلها ، قال : زدني ، قال : التوبة معروضة ما دام الروح في الجسد ، فقال: زدني ، قال : " يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم " الآية (الزمر - 53) .
وفي الخبر : أن إبليس قال : يا رب بعثت أنبياء وأنزلت كتباً فما قراءتي ؟ قال : الشعر ، قال : فما كتابي ؟ قال الوشم ، قال: ومن رسلي ؟ قال : الكهنة ، قال : وأين مسكني ؟ قال : الحمامات ، قال : وأين مجلسي ؟ قال : الأسواق ، قال : أي شيء مطعمي ؟ قال : ما لم يذكر عليه اسمي ،قال : ما شرابي ؟ قال : كل مسكر ، قال : وما حبالي ؟ قال : النساء ، قال : وما أذاني ؟ قال : المزامير . قوله عز وجل : " وعدهم " ، أي : منهم الجميل في طاعتك . وقيل : قل لهم : لا جنة ولا نار ولا بعث . " وما يعدهم الشيطان إلا غروراً " ، والغرور تزيين الباطل بما يظن أنه حق . فإن قيل : كيف ذكر الله هذه الأشياء وهو يقول : " إن الله لا يأمر بالفحشاء " (الأعراف - 28)؟ قيل : هذا على طريق التهديد ، كقوله تعالى : " اعملوا ما شئتم " (فصلت - 40) ، وكقول القائل : افعل ما شئت فسترى .

سورة الإسراء

65 - قوله : " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك وكيلاً " ، أي حافظاً من يوكل الأمر إليه .

66 - قوله عز وجل : " ربكم الذي يزجي لكم الفلك " أي : يسوق ويجري لكم الفلك ، " في البحر لتبتغوا من فضله " ، لتطلبوا من رزقه ، " إنه كان بكم رحيماً " .

67- " وإذا مسكم الضر " ، الشدة وخوف الغرق ، " في البحر ضل " ، أي : بطل وسقط ، " من تدعون " ، من الآلهة ، " إلا إياه " ، إلا الله فلم تجدوا مغيثاً غيره وسواه ، " فلما نجاكم " ، أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وأخرجكم ، " إلى البر أعرضتم " ، عن الإيمان والإخلاص والطاعة ، كفراً منكم لنعمه ، " وكان الإنسان كفوراً " .

68 - " أفأمنتم " ، بعد ذلك ، " أن يخسف بكم " ، يغور بكم ، " جانب البر " ناحية البر وهي الأرض ، " أو يرسل عليكم حاصباً " ، أي : يمطر عليكم حجارةً من السماء كما أمطر على قوم لوط . قال أبو عبيدة و القتيبي : الحاصب الريح التي ترمي بالحصباء ، وهي الحصا الصغار ، " ثم لا تجدوا لكم وكيلاً " ، قال قتادة : مانعاً .

69 - " أم أمنتم أن يعيدكم فيه " ، يعني في البحر ، " تارةً " مرة ، " أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح " ، قال ابن عباس : أي : عاصفاً وهي الريح الشديدة . وقال أبو عبيدة : هي الريح التي تقصف كل شيء ، أي تدقه وتحطمه . وقال القتيبي : هي التي تقصف الشجر ، أي تكسره . " فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً" ، ناصراً ولا ثائراً ، و (تبيع) بمعنى تابع ، أي تابعاً مطالباً بالثأر . وقيل : من يتبعنا بالإنكار . قرأ ابن كثير و أبو عمرو (أن نخسف ، ونرسل ، ونعيدكم ، فنرسل ، فنغرقكم) ، بالنون فيهن ، لقوله (علينا) . وقرأ الآخرون بالياء لقوله : (إلا إياه) ، وقرأ أبو جعفر و يعقوب " فيغرقكم " بالتاء يعني الريح .

70 - قوله عز وجل : " ولقد كرمنا بني آدم " ، روي عن ابن عباس أنه قال : هو أنهم يأكلون بالأيدي ، غير الآدمي يأكل بفيه من الأرض . وروي عنه أنه قال: بالعقل . وقال الضحاك : بالنطق . وقال عطاء : بتعديل القامة وامتدادها ، والدواب منكبة على وجوهها . وقيل : بحسن الصورة . وقيل : الرجال باللحى ، والنساء بالذوائب . وقيل : بأن سخر لهم سائر الأشياء . وقيل : بأن منهم خير أمة أخرجت للناس . " وحملناهم في البر والبحر " ، أي : حملناهم في البر على الدواب وفي البحر على السفن . "ورزقناهم من الطيبات " ، يعني : لذيذ المطاعم والمشارب . قال مقاتل : السمن ، والزبد ، والتمر ، والحلوى ، وجعل رزق غيرهم مالا يخفى . " وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً " ،

وظاهر الآية أنه فضلهم على كثير ممن خلقهم لا على الكل . وقال قوم: فضلوا على جميع الخلق إلا على الملائكة . وقال الكلبي : فضلوا على الخلائق كلهم إلا على طائفة من الملائكة : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت ، وأشباههم . وفي تفضيل الملائكة على البشر اختلاف ، فقال قوم : فضلوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم ، قد يوضع الأكثر موضع الكل كما قال تعالى: " هل أنبئكم على من تنزل الشياطين " إلى قوله تعالى : " وأكثرهم كاذبون " (الشعراء -221 /222) . أي : كلهم . وفي الحديث عن جابر يرفعه قال :" لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة : يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة ، فقال تعالى : لا أجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له : كن فكان ". والأولى أن يقال : عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة ،وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة . قال الله تعالى : " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية " (البينة - 7) . وروي عن أبي هريرة أنه قال : المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده .

71 - قوله عز وجل : " يوم ندعوا كل أناس بإمامهم " ، قال مجاهد ، قتادة : بنبيهم . وقال : أبو صالح و الضحاك : بكتابهم الذي أنزل عليهم . وقال الحسن و أبو العالية : بأعمالهم . وقال قتادة أيضاً : بكتابهم الذي فيه أعمالهم ، بدليل سياق الآية . " فمن أوتي كتابه بيمينه " ، ويسمى الكتاب إماماً كما قال عز وجل : " وكل شيء أحصيناه في إمام مبين " (يس - 12) . وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إلى ضلالة أو هدى ، قال الله تعالى : " وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا " (الأنبياء - 73) ، وقال : " وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار " (القصص - 41) . وقيل : بمعبودهم . وعن سعيد بن المسيب قال : كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر . وقال محمد بن كعب : " بإمامهم " ، قيل : بعني بأمهاتهم ، وفيه ثلاثة أوجه من الحكمة أحدها : لأجل عيسى عليه السلام ، والثاني : لشرف الحسن والحسين ، والثالث : لئلا يفتضح أولاد الزنا . " فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلا " أي : لا ينقص من حقهم قدر فتيل .

72 - " ومن كان في هذه أعمى " ، اختلفوا في هذه الإشارة ، فقال قوم : هي راجعة إلى النعم التي عددها الله تعالى فبهذه الآيات من قوله : " ربكم الذي يزجي لكم الفلك " إلى قوله " تفضيلاً " يقول : و من كان منكم في هذه النعم التي قد عاين أعمى ،" فهو في " ، في أمر ، " الآخرة " ، التي لم يعاين ولم ير،

" أعمى وأضل سبيلاً " ، يروى هذا عن ابن عباس . وقال الآخرون : هي راجعة إلى الدنيا، يقول : من كان في هذه أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق ، فهو في الآخرة أعمى ، وأضل سبيلاً ، أي : أخطأ طريقاً . وقيل : من كان في هذه الدنيا أعمى عن الاعتبار ، فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار . وقال الحسن : من كان في هذه الدنيا ضالاً كافراً ، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ، لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته . وأمال بعض القراء هذين الحرفين ، وفتحهما بعضهم ، وكان أبو عمر بكسر الأول ويفتح الثاني ، فهو في الآخرة أشد عمى ، لقوله : " وأضل سبيلاً " .

73 - قوله عز وجل : " وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك " الآية ، اختلفوا في سبب نزولها: قال سعيد بن جبير : كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود فمنعته قريش ، وقالوا : [لا تلم] حتى تلم بآلهتنا وتمسها ، فحدث نفسه : ما علي أن أفعل ذلك والله تعالى يعلم أني لها كاره ، بعد أن يدعوني حتى أستلم الحجر الأسود . وقيل : طلبوا منه أن يمس آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه بذلك ، فأنزل الله هذه الآية . وقال ابن عباس :" قدم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال ، قال : وما هن ؟ قالوا : أن لا ننحني - أي في الصلاة - ولا نكسر أصنامنا بأيدينا ، وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود ، وأما أن تكسروا أصنامكم بأيديكم فذاك لكم ، وأما الطاغية - يعني اللات والعزى - فإني غير ممتعكم بها ، فقالوا : : يا رسول الله إنا نحب أن تسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا ، فإن خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا، فقل : الله أمرني بذلك ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطمع القوم في سكوته أن يعطيهم ذلك ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ": " وإن كادوا ليفتنونك " ليصرفونك " عن الذي أوحينا إليك " " لتفتري " ، لتختلق ، " علينا غيره وإذاً " ، لو فعلت ما دعوك إليه " لاتخذوك خليلاً " أي : والوك وصافوك .

74 - " ولولا أن ثبتناك " ، على الحق بعصمتنا ، " لقد كدت تركن " أي : تميل ، " إليهم شيئاً قليلاً " أي : قريباً من الفعل . فإن : قيل : كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوماً ، فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه وما طلبوه كفر ؟ . قيل : كان ذلك خاطر قلب ، ولم يكن عزماً وقد غفر الله عز وجل عن حديث النفس . قال قتادة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك : " اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين " . والجواب الصحيح هو : أن الله تعالى قال: " ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً "

وقد ثبته الله ،ولم يركن ، وهذا مثل قوله تعالى : " ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً " (النساء - 83) ، [وقد تفضل فلم يتبعوا] .

75 - " إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات " ، أي : لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة ،وضعف عذاب الممات، يعني : أضعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة . وقيل : (الضعف) : هو العذاب ، سمي ضعفاً لتضاعف الألم فيه . " ثم لا تجد لك علينا نصيراً " ، أي : ناصراً يمنعك من عذابنا .

76 - قوله تعالى : " وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها " ، اختلفوا في معنى الآية ، فقال بعضهم : هذه الآية مدنية . قال الكلبي : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسداً منهم ، فأتوه وقالوا : يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء فإن أرض الأنبياء الشام ، [وهي الأرض المقدسة ، وكان بها إبراهيم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإن كنت نبياً مثلهم فأت الشام] ، وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافتك الروم ، وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله ، فعسكر النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة . وفي رواية : إلى ذي الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويخرج ، فأنزل الله هذه الآية و(الأرض) هاهنا هي المدينة . وقال مجاهد و قتادة : (الأرض) أرض مكة . والآية مكية ، هم المشركون أن يخرجوه منها، فكفهم الله عنه حتى أمره بالهجرة ، فخرج بنفسه . وهذا أليق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية . وقيل : هم الكفار كلهم ،أرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه ، فمنع الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ولم ينالوا منه ما أملوا . والاستفزاز هو الإزعاج بسرعة . " وإذاً لا يلبثون خلافك " أي : بعدك ، وقرأ ابن عامر و حمزة و الكسائي و حفص و يعقوب " خلافك " اعتباراً بقوله تعالى : " فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله "(التوبة - 81) ، ومعناهما واحد . " إلا قليلاً " أي : لا يلبثون بعدك إلا قليلاً حتى يهلكوا ، فعلى هذا القول الأول : مدة حياتهم ، وعلى الثاني : ما بين خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة إلى أن قتلوا ببدر .

77- قوله عز وجل : " سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا " أي : كسنتنا ، فانتصب بحذف الكاف . وسنة الله في الرسل إذا كذبتهم الأمم أن لا يعذبهم ما دام نبيهم بين أظهرهم ، فإذا خرج نبيهم من بين أظهرهم عذبهم . " ولا تجد لسنتنا تحويلاً " ، أي تبديلاً .

78 - قوله : " أقم الصلاة لدلوك الشمس " ، اختلفوا في الدلوك : روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال : الدلوك هو الغروب . وهو قول إبراهيم النخعي ، و مقاتل بن حيان ، و الضحاك ، و السدي .

وقال ابن عباس : وابن عمر ، وجابر : هو زوال الشمس ، وهو قول عطاء ، و قتادة ، و مجاهد ، و الحسن ، و أكثر التابعين . ومعنى اللفظ يجمعهما لأن أصل الدلوك الميل ،والشمس تميل إذا زالت وإذا غربت . والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به ،ولأنا إذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها، (فدلوك الشمس) : يتناول صلاة الظهر والعصر ، و (إلى غسق الليل) : يتناول المغرب والعشاء ،و (قرآن الفجر) : هو صلاة الصبح . قوله عز وجل : " إلى غسق الليل " ، أي : ظهور ظلمته ، وقال ابن عباس : بدو الليل . وقال قتادة : وقت صلاة المغرب . وقال مجاهد : غروب الشمس . " وقرآن الفجر " ، يعني : صلاة الفجر ، سمى صلاة الفجر قرآناً لأنها لا تجوز إلا بقرآن ، وانتصاب القرآن من وجهين ، أحدهما: أنه عطف على الصلاة ، أي : وأقم قرآن الفجر ، قاله الفراء ،وقال أهل البصرة : على الإغراء أي وعليك قرآن الفجر . " إن قرآن الفجر كان مشهوداً " ، أي : يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أنبأنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا أبو اليمان ، أنبأنا شعيب عن الزهري ، أخبرني سعيد بن المسيب و أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " تفضل صلاة الجميع على صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءاً ، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر " ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم :" إن قرآن الفجر كان مشهوداً " .

79 - قوله تعالى : " ومن الليل فتهجد به " أي : قم بعد نومك ، والتهجد لا يكون إلا بعد النوم ، يقال : تهجد إذا قام بعدما نام . وهجد إذا نام . والمراد من الآية : قيام الليل للصلاة . وكانت صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم في الابتداء ، وعلى الأمة ، لقوله تعالى : " يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلا " (المزمل - 1) ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخاً في حق الأمة بالصلوات الخمس ،وبقي الاستحباب : قال الله تعالى : " فاقرؤوا ما تيسر منه " (المزمل - 20) ، وبقي الوجوب في حق النبي صلى الله عليه وسلم . وروي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" ثلاث هن علي فريضة ، وهن سنة لكم : الوتر [والسواك] وقيام الليل " . قوله عز وجل : " نافلةً لك " أي : زيادة لك ، يريد : فضيلة زائدة ، على سائر الفرائض ، فرضها الله عليك . وذهب قوم إلى أن الوجوب صار منسوخاً في حقه كما في حق الأمة ، فصارت نافلة ، وهو قول مجاهد و قتادة ، لأن الله تعالى قال : " نافلة لك " ولم يقل عليك . فإن قيل : فما معنى التخصيص وهي زيادة في حق كافة

المسلمين كما في حقه صلى الله عليه وسلم ؟ . قيل : التخصيص من حيث إن نوافل العباد كفارة لذنوبهم ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فكانت نوافله لا تعمل في كفارة الذنوب فتبقى له زيادة في رفع الدرجات .
أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني ، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي ، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب ، حدثنا أبو عيسى الترمذي ، حدثنا قتيبة و بشر بن معاذ قالا : حدثنا أبو عوانة عن زيادة بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال : "قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له : أتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً " . أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي ، أخبرنا زاهر بن أحمد ، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي ، أخبرنا أبو مصعب بن مالك ، عن عبد الله بن أبي بكرة عن أبيه عن عبد الله بن قيس بن مخرمة أنه أخبره عن يزيد بن خالد الجهني أنه قال : لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : الليلة ، فتوسدت عتبته أو فسطاطه ،فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم صلى ركعتين طويلتين ، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ، [ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما] ، ثم أوتر فلذلك ثلاث عشرة ركعة . أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي ، أخبرنا زاهر بن أحمد ، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي ، أخبرنا أبو مصعب ، عن مالك ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه أخبره أنه سأل عائشة رضي الله عنها : كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ؟ قال : فقالت : " ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ، ولا في غيره ، على إحدى عشرة ركعة ، يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي ثلاثاً . قالت عائشة فقلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ فقال :يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي " . أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ، أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني ، أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق ،أخبرنا يونس بن هارون بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، و ابن أبي ذئب ، و عمر بن الحارث ، أن ابن شهاب أخبرهم عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت :" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة ، يسلم من كل ركعتين،ثم يوتر بواحدة ، فيسجد السجدة قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه ، فإذا سكت المؤذن من أذان الفجر ،وتبين له الفجر ، قام فركع ركعتين خفيفتين ، ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن

للإقامة فيخرج" . وبعضهم يزيد على بعض . أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري ، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي ، أخبرنا عبد الرحمن بن منيب ، أخبرنا يزيد بن هارون ، أخبرنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم مصلياً إلا رأيناه ، ولا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه ، وقال : كان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئاً ، ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئاً . قوله عز وجل : " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً " عسى من الله تعالى واجب ، لأنه لا يدع أن يعطي عباده أو يفعل بهم ما أطمعهم فيه . والمقام المحمود هو : مقام الشفاعة لأمته لأنه يحمده فيه الأولون والآخرون : أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريان ، حدثنا حميد بن زنجويه ، أخبرنا عبد الله بن يزيد المقري ، أخبرنا حياة عن كعب عن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول : ثم صلوا علي ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة " . أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا علي بن عباس ،حدثنا سعيد بن أبي حمزة ،عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ،آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة " . أخبرنا أبو حامد بن عبد الله الصالحي ،أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري ، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي ، أخبرنا عبد الرحيم بن منيب ، أخبرنا يعلى عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن لكل نبي دعوةً مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي ، وهي نائلة منكم - إن شاء الله - من مات لا يشرك بالله شيئاً " . أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل قال : قال حجاج بن منهال ، حدثنا همام بن يحيى ، حدثنا قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهتموا بذلك ، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت آدم أبو الناس ، خلقك الله بيده ، وأسكنك جنته ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك

أسماء كل شيء ، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب وأكله من الشجرة ،وقد نهى عنها، ولكن ائتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض . فيأتون نوحاً فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته التي أصاب ، سؤاله ربه بغير علم ،ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن ، قال فيأتون إبراهيم ، فيقول : لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن ، ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجياً . قال : فيأتون موسى ، فيقول : إني لست هناكم ، ويذكر خطيئته التي أصاب بقتل النفس ، ولكن ائتوا عيسى ، عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته . فيأتون عيسى ، فيقول : لست هناكم ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال : فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ،ثم يقول : ارفع رأسك يا محمد ، وقل تسمع ، وقل تسمع واشفع تشفع ،وسل تعطه ، قال : فأرفع رأسي ، فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج ،فأدخلهم الجنة " . قال قتادة : وسمعته أيضا يقول : " فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأستأذن على ربي في داره ،فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعت له ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول : ارفع رأسك يا محمد ، وقل تسمع ، واشفع تشفع ، وسل تعطه ،قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة ، [ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول : ارفع رأسك يا محمد ، وقل تسمع ، واشفع تشفع وسل تعطه ، قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة] " . قال قتادة : وقد سمعته أيضاً يقول : " فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن " - أي وجب عليه الخلود - قال : ثم تلا هذه الآية : " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً " [قال : وهذا المقام المحمود] الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم] .

وبهذا الإسناد قال : حدثنا [محمد بن إسماعيل حدثنا] سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا معبد بن هلال الغزي قال : ذهبنا إلى أنس بن مالك فذكر حديث الشفاعة ، بمعناه ، قال : فأستأذن على ربي فيؤذن لي ، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن ، فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع [وسل تعطه] واشفع تشفع ، فأقول : يا رب أمتي أمتي ،فيقول : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان ، فأنطلق فأفعل ، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً وذكر مثله ،فيقال : انطلق

فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان . فأنطلق فأفعل ، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً ، وذكر مثله ، ثم يقال : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان ، فأنطلق فأفعل ، فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث إلى هذا الموضع ، فقال: هيه ، فقلنا : لم يزدنا على هذا، فقال: لقد حدثني وهو [يومئذ جميع] منذ عشرين سنة كما حدثكم ، ثم قال : ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع ، وسل تعطه ،واشفع تشفع فأقول يا ربي أتأذن فيمن قال لا إله إلا الله ؟ فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله . وروي عن عبد الله بن عمر قال : إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن،فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ، ثم بموسى ،ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم [فيشفع ليقضى بين الخلق ، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب ،فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً، يحمده أهل الجمع كلهم . وأخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد] بن ماموية ، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ، حدثنا محمد بن حموية ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا منصور بن أبي الأسود ، حدثنا الليث ، عن الربيع بن أنس ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا أولهم خروجاً [إذا بعثوا] ، وأنا قائدهم إذا وفدوا ،وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وأنا شفيعهم إذا حبسوا [وأنا مبشرهم إذا أيسوا] الكرامة ، والمفاتيح يومئذ بيدي ، ولواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ، يطوف علي ألف خادم كأنهم بيض مكنون ، أو لؤلؤ منثور " . أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر ، أخبرنا عبد الغافر بن محمد ، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجاج ، حدثني الحكم بن موسى ، حدثنا معقل بن زياد عن الأوزاعي ، حدثني أبو عمار ، حدثني عبد الله بن فروخ ، حدثني أبو هريرة قال : قال رضي الله عنه : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ،وأول شافع ، وأول مشفع ". والأخبار في الشفاعة كثيرة ، وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة . وروي عن يزيد بن صهيب الفقير قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج ، وكنت رجلاً شاباً فخرجنا نريد أن نحج ، فمررنا على المدينة ، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر الجهنميين ،فقلت له : يا صاحب رسول الله ما هذا الذي يحدثون والله عز وجل يقول : " إنك من تدخل النار فقد أخزيته " (آل عمران - 192) و " كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها " (السجدة - 20) فقال : يا فتى تقرأ القرآن ؟

قلت : نعم ، قال : هل سمعت بمقام محمد المحمود الذي يبعثه الله فيه ؟ قلت : نعم ،قال : فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار ، [ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه] ، وأن قوماً يخرجون من النار بعد ما يكونون فيها ، قال : فرجعنا وقلنا أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . وروي عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله عز وجل اتخذ إبراهيم خليلاً ، وإن صاحبكم حبيب الله وأكرم الخلق على الله ، ثم قرأ : " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً " " [قال : يقعد على العرش] . [وعن مجاهد في قوله تعالى : " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً " ، قال : يجلسه على العرش] . وعن عبد الله بن سلام قال : يقعده على الكرسي .

80 - قوله عز وجل : " وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق " ، والمراد من المدخل والمخرج : الإدخال والإخراج ، واختلف أهل التفسير فيه : فقال ابن عباس و الحسن و قتادة : "أدخلني مدخل صدق " : المدينة . (وأخرجني مخرج صدق) : مكة ، نزلت حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة . وقال الضحاك : " وأخرجني مخرج صدق " : من مكة آمناً من المشركين ، (و أدخلني مدخل صدق) : مكة ظاهراً عليها بالفتح . وقال مجاهد : أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق الجنة ، وأخرجني من الدنيا ، وقد قمت بما وجب علي من حقها ، مخرج صدق . وعن الحسن أنه قال : "أدخلني مدخل صدق " : الجنة ، " وأخرجني مخرج صدق " : من مكة . وقيل : أدخلني في طاعتك ،وأخرجني من المناهي ، وقيل : معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق ، وأخرجني بالصدق ، أي : لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه ، فإن ذا الوجهين لا يكون آمناً ووجيهاً عند الله . ووصف الإدخال والإخراج بالصدق لما يؤول إليه الخروج والدخول من النصر والعز ودولة الدين ، كما وصف القدم بالصدق فقال : " أن لهم قدم صدق عند ربهم " (يونس - 2) . " واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً " ، قال مجاهد : حجة بينة . وقال الحسن ملكاً قوياً تنصرني به على من ناوأني وعزاً ظاهراً أقيم به دينك . فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما فيجعله له . قال قتادة : علم نبي الله صلى الله عليه وسلم أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان [نصير] ، فسأل سلطاناً نصيراً: كتاب الله ، وحدوده ، وإقامة دينه .

81 - قوله عز وجل : " وقل جاء الحق " ، يعني القرآن ، " وزهق الباطل " ، أي : ذهب الشيطان ، قال قتادة ، وقال السدي : (الحق) : الإسلام ، و (الباطل) الشرك . وقيل : (الحق) : عبادة الله ، و(الباطل) : عبادة الأصنام . " إن الباطل كان زهوقاً

" ذاهباً ، يقال : زهقت نفسه أي خرجت . أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد عن أبي معمر بن عبد الله ، قال :" دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود [في يده] ويقول : "جاء الحق وزهق الباطل " ، " جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد " " .

82 - قوله عز وجل : " وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين " ، قيل : (من) ليس للتبعيض ، ومعناه : وننزل من القرآن ما كله شفاء ، أي : بيان من الضلالة والجهالة ، يتبين به المختلف ، ويتضح به المشكل ، ويستشفى به من الشبهة ، ويهتدى به من الحيرة ، فهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها رحمة للمؤمنين . " ولا يزيد الظالمين إلا خساراً " ، لأن الظالم لا ينتفع به ، والمؤمن من ينتفع به فيكون رحمة له . وقيل : زيادة الخسارة للظالم من حيث أن كل آية تنزل يتجدد منهم تكذيب ويزداد لهم خسارة . قال قتادة لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان ، قضى الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً .

83 - قوله تعالى : " وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض " ، عن ذكرنا ودعائنا ، " ونأى بجانبه " ، أي تباعد عنا بنفسه ، أي ترك التقرب إلى الله بالدعاء . وقال عطاء : تعظم وتكبر ، ويكسر النون والهمزة حمزة و الكسائي ،و يفتح النون ويكسر الهمزة أبو بكر ، وقرأ ابن عامر و أبو جعفر (وناء) مثل جاء قيل :هو بمعنى نأى ، وقيل : ناء من النوء وهو النهوض والقيام . " وإذا مسه الشر " ، الشدة والضرر ، " كان يؤوساً " ، أي آيساً قنوطاً . وقيل : معناه أنه يتضرع ويدعو عند الضرر والشدة ، فإذا تأخرت الإجابة يئس ولا ينبغي للمؤمن أن ييأس من الإجابة ، وإن تأخرت فيدع الدعاء .

84 - قوله عز وجل : " قل كل يعمل على شاكلته " ، قال ابن عباس : على ناحيته . وقال الحسن و قتادة : على نيته . قال مقاتل : على خليقته قال الفراء على طريقته التي جبل عليها . وقال القتيبي : على طبيعته وجبلته . وقيل : على السبيل الذي اختاره لنفسه ، وهو من الشكل ، يقال : لست على شكلي ولا شاكلتي ، وكلها متقاربة ، تقول العرب : طريق ذو شواكل إذا تشعبت منه الطرق . ومجاز الآية : كل يعمل على ما يشبهه ، كما يقال في المثل : كل امرئ يشبهه فعله . " فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً " أوضح طريقاً .

85 - قوله تعالى : " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي " الآية . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد

الله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا قيس بن حفص ، حدثنا عبد الواحد - يعني ابن زياد - حدثنا الأعمش عن إبراهيم ، عن علقمة عن عبد الله قال : بينا أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث المدينة ، وهو يتوكأ على عسيب معه ، فمر بنفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسألوه ، لا يجيء فيه بشيء تكرهونه ، فقال بعضهم لنسألنه ، فقام رجل منهم ، فقال : يا أبا القاسم ما الروح ؟ فسكت ، فقلت : إنه يوحى إليه ، فقمت ، فلما انجلى عنه الوحي ، قال : " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا " قال الأعمش : هكذا في قراءتنا . وروي عن ابن عباس أنه قال : إن قريشاً قد اجتمعوا وقالوا : إن محمداً نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب ، وقد ادعى ما ادعى ، فابعثوا نفراً إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فإنهم أهل كتاب فبعثوا جماعة إليهم ، فقالت اليهود : سلوه عن ثلاثة أشياء ، فإن أجاب عن كلها أو لم يجب عن شيء منها ، فليس بنبي ، وإن أجاب عن اثنتين ولم يجب عن واحدة فهو نبي ، فسلوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول ، ما كان من أمرهم ؟ فإنه كان لهم حديث عجيب ، وعن رجل بلغ شرق الأرض و غربها ما خبره ، وعن الروح ؟ فسألوه ،فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أخبركم بما سألتم غداً ولم يقل إن شاء الله ، فلبث الوحي - قال مجاهد : اثني عشرة ليلة ، وقيل : خمسة عشر يوماً وقال عكرمة : أربعين يوماً - وأهل مكة يقولون : وعدنا محمد غداً وقد أصبحنا لا يخبرنا بشيء ، حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة، ثم نزل جبريل بقوله " ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا * إلا أن يشاء الله " ، ونزلت قصة الفتية " أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً " ، ونزل فيمن بلغ الشرق والغرب " ويسألونك عن ذي القرنين " ، ونزل في الروح " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي " . واختلفوا في الروح الذي وقع السؤال عنه ، فروي عن ابن عباس : أنه جبريل ،وهو قول الحسن و قتادة . وروي عن علي أنه قال : هو ملك له سبعون ألف وجه، لكل وجه سبعون ألف لسان، يسبح الله تعالى بكلها . وقال مجاهد : خلق على صور بني آدم ، لهم أيد وأرجل ورؤوس ، وليسوا بملائكة ، ولا ناس ، يأكلون الطعام . وقال سعيد بن جبير : لم يخلق الله تعالى خلقاً أعظم من الروح غير العرش ، لو شاء أن يبتلع السموات السبع والأرضيين السبع ومن فيها بلقمة واحدة لفعل ، صورة خلقه على صورة خلق الملائكة وصورة وجهه علىصورة الآدميين ، يقوم يوم القيامة عن يمين العرش وهو أقرب الخلق إلى الله عز وجل اليوم عند الحجب السبعين ، وأقرب إلى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لأهل التوحيد ، ولولا أن بينه وبين الملائكة ستراً

من نور لاحترق أهل السموات من نوره . وقيل : الروح هو القرآن . وقيل : المراد منه عيسى عليه السلام ،فإنه روح الله وكلمته ، ومعناه : أنه ليس كما يقول اليهود ولا كما يقوله النصارى . وقال قوم : هو الروح المركب في الخلق الذي يحيا به الإنسان ، وهو الأصح . وتكلم فيه قوم فقال بعضهم : هو الدم ، ألا ترى أن الحيوان إذا مات لا يفوت منه شيء إلا الدم ؟. وقال قوم : هو نفس الحيوان ، بدليل أنه يموت باحتباس النفس . وقال قوم : هو عرض . وقال قوم : هو جسم لطيف . وقال بعضهم : الروح معنىً اجتمع فيه النور والطيب والعلو والبقاء ، ألا ترى أنه إذا كان موجوداً يكون الإنسان موصوفاً بجميع هذه الصفات ، فإذا خرج ذهب الكل ؟ . وأولى الأقاويل : أن يوكل علمه إلى الله عز وجل ، وهو قول أهل السنة . قال عبد الله بن بريدة إن الله لم يطلع على الروح ملكاً مقرباً ، ولا نبياً مرسلاً . وقوله عز وجل : " قل الروح من أمر ربي " قيل : من علم ربي. " وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً " أي : في جنب علم الله . قيل : هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم . وقيل : خطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير . وقيل : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم معنى الروح ، ولكن لم يخبر به أحداً لأن ترك إخباره به كان علماً لنبوته . والأول أصح ، لأن الله عز وجل استأثر بعلمه .

86 - قوله تعالى : " ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك " ، يعني القرآن . معناه : إنا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك ، لو شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ، يعني : القرآن ،" ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً " .

87 - " إلا رحمةً من ربك " ، هذا استثناء منقطع معناه : لكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك . " إن فضله كان عليك كبيراً " ، فإن قيل : كيف يذهب القرآن وهو كلام الله عز وجل ؟ قيل : المراد منه : محوه من المصاحف وإذهاب ما في الصدور . وقال عبد الله بن مسعود : اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع ، فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع . قيل : هذه المصاحف ترفع، فكيف بما في صدور الناس ؟ قال يسري عليه ليلاً فيرفع ما في صدورهم ، فيصبحون لا يحفظون شيئاً ولا يجدون في المصاحف شيئاً ، ثم يفيضون في الشعر . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل ، له دوي حول العرش كدوي النحل ، فيقول الرب مالك وهو أعلم ؟ فيقول : يا رب أتلى ولا يعمل بي .

88 - قوله جل وعلا : " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله " ، لا يقدرون على ذلك ، " ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً " ، عوناً ومظاهراً . نزلت حين قال

الكفار : لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله تعالى . فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب ، وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق ، لأنه غير مخلوق ، ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله .

89 - قوله عز وجل : " ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل " ، من كل وجه من العبر والأحكام والوعد والوعيد وغيرها ، " فأبى أكثر الناس إلا كفوراً " ، جحوداً .

90 - قوله عز وجل : " وقالوا لن نؤمن لك " ، لن نصدقك ،" حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً " ، قرأ أهل الكوفة و يعقوب " تفجر " بفتح التاء وضم الجيم مخففاً ، لأن الينبوع واحد ، وقرأ الباقون بالتشديد من التفجير ، واتفقوا على تشديد قوله : " فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً " ، لأن الأنهار جمع ، والتشديد يدل على التكثير ، ولقوله (تفجيراً) من بعد . وروي عكرمة عن ابن عباس : أن عتبة وشيبة ابني ربيعة ، وأبا سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ، وأبا البختري بن هشام ، والأسود بن عبد المطلب ، وزمعه بن الأسود ، والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية ، وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل ، ونبيهاً ومنبهاً ابني الحجاج ، اجتمعوا ومن اجتمع معهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعاً ، وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بدء ، وكان عليهم حريصاً ، يحب رشدهم حتى جلس إليهم ، فقالوا : يا محمد إنا بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفهت الأحلام ، وشتمت الآلهة ، وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بينك وبيننا ، فإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تطلب الشرف سودناك علينا ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الأمر الذي بك رئي تراه قد غلب عليك ، لا تستطيع رده ، بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك ، وكانوا يسمون التابع من الجن : الرئي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بي ما تقولون ، ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم ولا الشرف عليكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل علي كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا ني فهو حظكم في الدنيا الآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم . فقالوا : يا محمد إن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيق منا بلاداً ولا أشد منا عيشاً ، فسل

لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال ،فقد ضيقت علينا، ويبسط لنا بلادنا ويفجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن منهم قصي بن كلاب ، فإنه كان شيخاً صدوقاً ، فنسألهم عما تقول : أحق هو أم باطل ؟ فإن صدقوك صدقناك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :ما بهذا بعثت ، فقد بلغتكم ما أرسلت به ، فإن تقبلوه مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه أصبر لأمر الله . قالوا : فإن لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث لنا ملكاً يصدقك ، واسأله أن يجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك ، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه . فقال : ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً . قالوا : فاسقط السماء كما زعمت ، إن ربك لو شاء فعل . فقال : ذلك إلى الله إن شاء فعل ذلك بكم فعله . وقال قائل منهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً . فلما قالوا ذلك ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أبي أمية ، وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال : يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا عليك فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً يعرفون بها منزلتك من الله تعالى فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب ،فلم تفعل ، فو الله لا أؤمن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ترقى فيها وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول ، وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزيناً لما رأى من مباعدتهم ،فأنزل الله تعالى : " وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض " يعني : أرض مكة " ينبوعاً " أي : عيوناً .

91 - " أو تكون لك جنة " ، بستان " من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً " ، تشقيقاً .

92 - " أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً " ، قرأ نافع و ابن عامر و عاصم بفتح السين ، أي : قطعاً ، وهي جمع (كسفة) ، وهي : القطعة والجانب ، مثل : كسرة وكسر . وقرأ الآخرون بسكون السين على التوحيد ، وجمعه أكساف وكسوف ، أي : تسقطها طبقاً [واحداً] ، وقيل : أراد جانبها علينا . وقيل : معناه أيضاً القطع ، وهي جمع التكسير مثل سدرة وسدر في الشعراء وسبأ " كسفاً " بالفتح ، حفص ، وفي الروم ساكنة أبو جعفر ، و ابن عامر . " أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً "، قال ابن عباس : كفيلاً ،أي : يكفلون بما تقول . وقال الضحاك : ضامناً . وقال مجاهد : هو جمع القبيلة ، أي : بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة . [وقال قتادة : عياناً أي : تراهم القابلة] أي : معاينة . [وقال الفراء : هو من قول العرب لقيت فلاناً قبيلاً ، وقبيلاً أي : معاينة

] .

93 - " أو يكون لك بيت من زخرف " أي : من ذهب ، وأصله الزينة ، " أو ترقى " ، تصعد ، " في السماء " ، هذا قول عبد الله بن أبي أمية ، " ولن نؤمن لرقيك " ، لصعودك ، " حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه " ، أمرنا فيه باتباعك، " قل سبحان ربي " ، وقرأ ابن كثير و ابن عامر " قال " يعني محمداً ، وقرأ آخرون على الأمر ، أي : قل يا محمد ، " هل كنت إلا بشراً رسولاً " ، أمره بتنزيهه وتمجيده ، على معنى أنه لو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل ، ولكن الله لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر ، وما أنا إلا بشر وليس ما سألتم في طوق البشر . واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله ، مثل : القرآن ، وانشقاق القمر ، وتفجير العيون من بين الأصابع وما أشبهها ، والقوم عامتهم كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا ، فرد الله عليهم سؤالهم .

94 - قوله عز وجل : " وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا " ، جهلاً منهم ، " أبعث الله بشراً رسولاً " ، أراد : أن الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لأنك بشر ، وهلا بعث الله إلينا ملكاً ؟ فأجابهم الله تعالى :

95 - " قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين " ، مستوطنين مقيمين ، " لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً " ، من جنسهم ، لأن القلب إلى الجنس أميل منه إلى غير الجنس .

96 - " قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم " ، أني رسول الله إليكم ، " إنه كان بعباده خبيراً بصيراً " .

97 - قوله عز وجل : " ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه " ، يهدونهم ، " ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم " . أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي ، أخبرنا الحسن بن شجاع الصوفي المعروف بابن الموصلي ، أنبأنا أبو بكر بن الهيثم ، حدثنا جعفر بن محمد الصائغ ، حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا سفيان عن قتادة عن أنس "أن رجلاً قال : يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيام ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه " . وجاء في الحديث : "إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك" . " عمياً وبكماً وصماً " . فإن قيل :كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم وصم . وقد قال :" ورأى المجرمون النار " (الكهف - 53) ، وقال : " دعوا هنالك ثبورا " (الفرقان - 13) ، وقال : " سمعوا لها تغيظاً وزفيراً " (الفرقان - 12) ، أثبت الرؤية والكلام والسمع ؟ . قيل : يحشرون على ما وصفهم الله ثم تعاد إليهم هذه الأشياء . وجواب آخر ، قال ابن عباس : عميا لا يرون ما

يسرهم ، بكماً ، لا ينطقون بحجة ، صماً لا يسمعون شيئاً يسرهم . وقال الحسن : هذا حين يساقون إلى الموقف إلى أن يدخلوا النار . وقال مقاتل : هذا حين يقال لهم : " اخسؤوا فيها ولا تكلمون " (المؤمنون - 108) ، فيصيرون بأجمعهم عمياً وبكماً وصماً ، لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون . " مأواهم جهنم كلما خبت" ، قال ابن عباس : كلما سكنت ، أي : سكن لهيبها . وقال مجاهد : طفئت وقال قتادة : ضعفت وقيل : هو الهدو من غير أن يوجد نقصان في ألم الكفار ، لأن الله تعالى قال : " لا يفتر عنهم " (الزخرف - 75) ، وقيل : " كلما خبت " أي : أرادت أن تخبو ، " زدناهم سعيراً " ،أي : وقوداً . وقيل: المراد من قوله : " كلما خبت " أي : نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا فيها إلى ما كانوا عليه ، وزيد في تسعير النار لتحرقهم .

98 - " ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا " ، فأجابهم الله تعالى فقال :

99 - " أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض " ،في عظمتها وشدتها ، " قادر على أن يخلق مثلهم " ، في صغرهم وضعفهم . نظيره قوله تعالى : " لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس " (غافر - 57) " وجعل لهم أجلاً " أي : وقتاً لعذابهم ، " لا ريب فيه " ، أنه يأتيهم ، قيل : هو الموت ، وقيل : هو يوم القيامة ، " فأبى الظالمون إلا كفوراً " ، أي : جحوداً وعناداً .

100 - " قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي " أي : نعمة ربي . وقيل : رزق ربي ، " إذاً لأمسكتم " ، لبخلتم وحبستم ، " خشية الإنفاق " ، أي : خشية الفاقة ، قاله قتادة . وقيل : خشية النفاد ، يقال : أنفق الرجل أي أملق وذهب ماله ونفق الشيء ، أي : ذهب . وقيل : لأمسكتم عن الإنفاق خشية الفقر . "وكان الإنسان قتوراً " ، أي : بخيلاً ممسكاً عن الإنفاق .

101 - قوله عز وجل : " ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات " ، أي : دلالات واضحات ، فهي الآيات التسع . قال ابن عباس و الضحاك : هي العصا ، واليد البيضاء ، والعقدة التي كانت بلسانه فحلها ، وفلق البحر ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم . وقال عكرمة وقتادة و مجاهد و عطاء : هي الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والعصا ، واليد ، والسنون ، ونقص الثمرات . وذكر محمد بن كعب القرظي : الطمس ، والبحر بدل السنين ، ونقص من الثمرات ، قال : فكان الرجل منهم مع أهله في فراشه وقد صارا حجرين ، والمرأة منهم قائمة تخبز وقد صارت حجراً . وقال بعضهم : هن آيات الكتاب . أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي ، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أخبرني الحسن بن محمد الثقفي ، أخبرنا

هارون بن محمد بن هارون العطار ، أنبأنا يوسف بن عبد الله بن ماهان ، حدثنا الوليد الطيالسي ، حدثنا شعبة بن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن مسلمة ، عن صفوان بن عسال المرادي ، "أن يهودياً قال لصاحبه : تعال حتى نسأل هذا النبي ، فقال الآخر : لا تقل نبي ، فإنه لو سمع صارت له أربعة أعين ، فأتياه فسألاه عن هذه الآية : " ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات " فقال : لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تسحروا ، ولا تمشوا بالبريء إلى سلطان ليقتله ، ولا تسرفوا ، ولا تقذفوا المحصنة ، ولا تفروا من الزحف ، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت ، فقبلا يده ، وقالا : نشهد أنك نبي ، قال : فما يمنعكم أن تتبعوني ؟ قالا : إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي ، وإنا نخاف إن تبعناك أن يقتلنا اليهود ." " فاسأل " ، يا محمد " بني إسرائيل إذ جاءهم " ، موسى ، يجوز أن يكون الخطاب معه والمراد غيره ، ويجوز أن يكون خاطبه عليه السلام وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم . " فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً " ، أي : مطبوباً سحروك ، قاله الكلبي . وقال ابن عباس : مخدوعاً . وقيل : مصروفاً عن الحق . وقال الفراء ، و أبو عبيدة : ساحراً ، فوضع المفعول موضع الفاعل . وقال محمد بن جرير : معطى علم السحر ، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك .

102- " قال " ، موسى ،" لقد علمت " ، قرأ العامة بفتح التاء خطاباً لفرعون ، وقرأ الكسائي بضم التاء ، ويروي ذلك عن علي ، وقال : لم يعلم الخبيث أن موسى على الحق ، ولو علم لآمن ، ولكن موسى هو الذي علم ، قال ابن عباس : علمه فرعون ولكنه عاند ، قال الله تعالى : " وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً " (النمل - 14) . وهذه القراءة ، وهي نصب التاء ، أصح في المعنى ، وعليه أكثر القراء ، لأن موسى لا يحتج عليه بعلم نفسه ، ولا يثبت عن علي رفع التاء ، لأنه روي عن رجل من مراد عن علي ، وذلك أن الرجل مجهول ، ولم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائي . " ما أنزل هؤلاء " ، هذه الآيات التسع ، " إلا رب السموات والأرض بصائر " ، جمع بصيرة أي يبصر بها . " وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً " ، قال ابن عباس : ملعوناً . وقال مجاهد : هالكاً . وقال قتادة : مهلكاً . وقال الفراء : أي مصروفاً ممنوعاً عن الخير . يقال : ما ثبرك عن هذا الأمر أ ي ما منعك وصرفك عنه .

103 - " فأراد أن يستفزهم " ، أي : أرد فرعون أن يستفز موسى وبني إسرائيل ، أي : يخرجهم ، " من الأرض " ، يعني أرض مصر،" فأغرقناه ومن معه جميعاً " ، ونجينا موسى وقومه .

104 - " وقلنا من بعده " ، أي من بعد هلاك فرعون ، " لبني

إسرائيل : اسكنوا الأرض " ، يعني أرض مصر والشام ، " فإذا جاء وعد الآخرة " ، يعني يوم القيامة ، " جئنا بكم لفيفاً " أي : جميعاً إلى موقف القيامة . واللفيف : الجمع الكثير : إذا كانوا مختلطين من كل نوع ، يقال : لفت الجيوش إذا اختلطوا ، وجمع القيامة كذلك ، فيهم المؤمن والكافر، والبر والفاجر . وقال الكلبي : (فإذا جاء وعد الآخرة) : يعني مجيء عيسى من السماء (جئنا بكم لفيفاً) أي : النزاع من كل قوم ، من هاهنا ومن هاهنا لفوا جميعاً .

105 - قوله عز وجل : " وبالحق أنزلناه وبالحق نزل " ، يعني القرآن ، " وما أرسلناك إلا مبشراً " للمطيعين ، " ونذيراً " ، للعاصين .

106 - " وقرآناً فرقناه " ، قيل : معناه : أنزلناه نجوماً ، لم ينزل مرة واحدة ، بدليل قراءة ابن عباس : " وقرآناً فرقناه " بالتشديد ، وقراءة العامة بالتخفيف ، أي : فصلناه . وقيل : بيناه . وقال الحسن : معناه فرقنا به بين الحق والباطل ، " لتقرأه على الناس على مكث " أي : على تؤدة وترتيل وترسل في ثلاث وعشرين سنة ، " ونزلناه تنزيلاً " .

107 - " قل آمنوا به أو لا تؤمنوا " ، هذا على طريق الوعيد والتهديد ، " إن الذين أوتوا العلم من قبله " ، قيل : هم مؤمنو أهل الكتاب ، وهم الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أسلموا بعد مبعثه ، مثل : زيد بن عمر بن نفيل ، وسلمان الفارسي وأبي ذر وغيرهم . " إذا يتلى عليهم " ، يعني : القرآن " يخرون للأذقان " أي : يسقطون على الأذقان ، قال ابن عباس : أراد بها الوجوه ، " سجداً " .

108 - " ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً" ، أي : كائناً واقعاً .

109 - " ويخرون للأذقان يبكون " ، أي : يقعون على الوجوه يبكون ، البكاء مستحب عند قراءة القرآن ، " ويزيدهم " ، نزول القرآن ، " خشوعاً " ، خضوعاً لربهم . نظيره قوله تعالى : " إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً " (مريم - 58) .
أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي ، أخبرنا أبو عمروا بن بكر محمد المزني ، حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجنيد ، حدثنا الحسن بن الفضل البجلي ، أخبرنا عاصم ، عن علي بن عاصم ، حدثنا المسعودي ، هو عبد الرحمن بن عبد الله ، عن عبد الرحمن مولى أبي طلحة عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبداً ". أخبرنا أبو القاسم بن عبد الكريم

بن هوازن القشيري ، أخبرنا أبو القاسم عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن ، أخبرنا أحمد بن بكر بن محمد بن حمدان ، حدثنا محمد بن يونس الكديمي ، أنبأنا عبد الله بن محمد الباهلي ، حدثنا أبو حبيب الغنوي ، حدثنا بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " حرمت النار على ثلاث أعين : عين بكت من خشية الله ، وعين سهرت في سبيل الله ، وعين غضت عن محارم الله " .

110 - قوله عز وجل : " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن " ، قال ابن عباس : سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ذات ليلة فجعل يبكي ويقول في سجوده : يا الله يا رحمن ، فقال أبو جهل : إن محمداً ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين ! فأنزل الله تعالى هذه الآية . ومعناه : أنهما اسمان لواحد . " أيا ما تدعوا " ، (ما) صلة ، معناه : أياً ما تدعو من هذين الاسمين ومن جميع أسمائه ، " فله الأسماء الحسنى " . " ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها " ، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أنبأنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، أخبرنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالى : " ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها " قال : نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة ، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : " ولا تجهر بصلاتك " أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم : " وابتغ بين ذلك سبيلاً " . وبهذا الإسناد عن محمد بن إسماعيل قال : حدثنا مسدد عن هشيم عن أبي بشر بإسناده مثله ، وزاده : " وابتغ بين ذلك سبيلاً " . أسمعهم ، ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن . وقال قوم : الآية في الدعاء ، وهو قول عائشة ، رضي الله عنها ، و النخعي ، و مجاهد ، و مكحول : أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا طلق بن غنام ، حدثنا زائدة عن هشام عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها في قوله : " ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها " قالت : أنزل ذلك في الدعاء . وقال عبد الله بن شداد : : كان أعراب من بني تميم إذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : اللهم ارزقنا مالاً وولداً ، فيجهرون بذلك ، فأنزل الله هذه الآية : " ولا تجهر بصلاتك " أي : لا ترفع صوتك بقراءتك أو بدعائك ولا تخافت بها . والمخافتة : خفض الصوت والسكوت" وابتغ بين ذلك سبيلاً " أي : بين الجهر والإخفاء . أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي ، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الخزاعي ،

أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ، حدثنا أبوعيسى الترمذي ، حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا يحيى ابن إسحاق ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الله بن أبي رباح الأنصاري ، عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر : " مررت بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك ، فقال : إني أسمعت من ناجيت ، فقال: ارفع قليلاً ، وقال لعمر : مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع صوتك ، فقال : إني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان ، فقال اخفض قليلاً " .

111 - " وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً " ، أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يحمده على وحدانيته ، ومعنى الحمد لله هو : الثناء عليه بما هو أهله . قال الحسين بن فضل : يعنى : الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولداً . " ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل " ، قال مجاهد لم يذل فيحتاج إلى ولي يتعزز به . " وكبره تكبيراً " ، أي : وعظمه عن أن يكون له شريك أو ولي . أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ، أخبرنا الإمام أبو الطيب سهل [بن محمد بن سليمان ، حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني ، حدثنا نضر بن حماد أبو الحارث الوراق ، حدثنا شعبة] عن حبيب بن أبي ثابت قال : سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء " . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي ، أخبرنا أبو الحسن بن بشران ، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار ، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي ، أنبأنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن قتادة أن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الحمد لله رأس الشكر ، ما شكر الله عبد لا يحمده " . أخبرنا أبو الفضل بن زياد بن محمد الحنفي ، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الأنصاري ، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا يحيى بن خالد بن أيوب المخزومي ،حدثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشر الخزامي الأنصاري ، عن طلحة بن خراش ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن أفضل الدعاء الحمد لله ،وأفضل الذكر لا إله إلا الله " . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح ، أخبرنا ابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، حدثنا علي بن الجعد ، حدثنا زهير ، حدثنا منصور عن هلال بن بشار ، عن الربيع بن عميلة عن سمرة بنت جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، لا يضرك بأيهن بدأت ".